# رسائل

# التوحيد والهيللة

تأليف

الإمام أبي محمد عبد الله بن محمد الهبطي

المعروف بالهبطي الكبير

المتوفى سنة ٩٦٣ هـ

تحقيق

الدكتور خالد زهري

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

**الطبعة الأولى**
١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ ـ ١١ بيروت ـ لبنان

**Dar Al-Kotob Al-ilmiyah**
*Beirut - Lebanon*
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

**Dar Al-Kotob Al-ilmiyah**
*Beyrouth - Liban*
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ère Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

**رقم الإيداع القانوني : 2002 / 0485**

ISBN 2-7451-3568-6

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

# رسائل
# التوحيد والهيللة

## الرسالة الأولى

# رسالة
# في الهيللة

للإمام أبي محمد
عبد الله بن محمد الهبطي
المعروف بالهبطي الكبير
المتوفى عام 963هـ/ 1555م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# تقديم

ينحصر في سلك هذا التقديم ثلاثة مطالب ضرورية لإدراك القيمة العلمية للمخطوطة: مطلب يتكلم على صاحب الرسالة، ومطلب يسلط الضوء على مضمونها، ومطلب يصف النسخة المخطوطة.

# ترجمة الهبطي الكبير

وفصل الخطاب في هذا المطلب يستلزم تأسيسه على نقطتين: نقطة تختص بشخصيته، ونقطة تعرض آثاره العلمية. وقبل رسمهما نوطِّئ ببضعة سطور تبرز قيمة الترجمة وأهميتها في التحقيق العلمي.

**توطئة**: من المقاصد المعتبرة في نشر هذه السلسلة من الرسائل والتقاييد المغربية التعريف بأساطين الشريعة وأوتاد الحقيقة من علماء المغرب الذين نصب الجهل بهم حجاباً ثخيناً بينهم وبين المثقف المعاصر، فغدوا مغمورين، وقد كانوا لدى الأمة ناراً على جبل يسقا أنتجوه من مصنفات أصيلة تعبّر عن هويةٍ ثقافية راقية جداً لابتنائها نظرياً على ذكر اللّه تعالى والاتصال العميق بالخالق، وعملياً على العمل الصالح بمحاربة الجهل والبدع، وترسيخ دعائم الفضيلة، ونشر العلم والمعرفة لدى كل شرائح المجتمع.

علاوة على ذلك، فإن نشر النص مجرداً عن التعريف بصاحبه ـ لا سيما إذا كان مغموراً لدى القارئ المعاصر ـ وعن بيان قيمته العلمية والعملية يحول دون خلق انجذاب إلى النص وتحصيل تواصل فكري وروحي معه. ومن هذا المنطلق يكون تعريفنا بالهبطي الكبير خادماً لرسالته المراد تحقيقها؛ ثم نقول:

**النقطة الأولى: التعريف بالهبطي الكبير**: هو الإمام أبو محمد عبد اللّه بن محمد الصنهاجي الهبطي، أصله من صنهاجة طنجة

من قبيلة «مثنة»[1]، توفي في ذي القعدة عام 963هـ/ 1555م[2]
لكن ابن القاضي ضبط وفاته بعام 968هـ/ 1560م[3]. وقبره مشهو
بزاويته في حوزشفشاون[4].

وقد وصفه العلماء بصفات تجعله من الأئمة علماً وعملاً، فق
وصفه ابن القاضي بالولي الصالح[5]، وبالصوفي الذي له معرف
بالأصلين والبيان والمنطق والجدل والرياضيات[6]؛ ونعته اب
عسكر بـ«فريد عصره، وأعجوبة دهره، الإمام العارف بالل
وبأحكامه، الشيخ الزاهد المحقق، جنيدي زمانه، وقطب دائر
أوانه، الهضبة الراسخة، والحجة الدامغة الراسخة، ولي الل
حقاً»[7]، ولُقِّب بغزالي زمانه[8]، وذكر كثير من الأعلام أنه لا يبع
أن يكون ممن قال فيهم رسول اللّه ﷺ[9]: «إن اللّه تبارك وتعال
يبعث لهذه الأمة عند رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[10]

---

(1) وضبطها ابن عسكر هكذا: «ايمتنة» (انظر دوحة الناشر: 7).

(2) انظر الاستقصا: 5/ 87، ونشر المثاني: 1/ 35، ودليل مؤرخ المغر الأقصى، 2/ 399، وشجرة النور الزكية: 284، وبلوغ الآمال: 205.

(3) انظر درة الحجال: 3/ 60، ولقط الفرائد: 308.

(4) انظر نشر المثاني: 1/ 35، والروض العطر الأنفاس: 107.

(5) انظر لقط الفرائد: 308، ودرة الحجال: 3/ 60.

(6) انظر درة الحجال: 3/ 60.

(7) دوحة الناشر: 7.

(8) انظر نفسه: 8.

(9) أخرجه أبو داود في الملاحم من سننه بسند فيه إعضال، والطبراني ف الأوسط بسند صحيح كل رجاله ثقات، والحاكم في مستدركه وصححه وهو حديث معتمد لدى أئمة الحديث كما قرّر السخاوي (انظر المقاص الحسنة: حديث 238).

(10) انظر دوحة الناشر: 8.

وقال فيه أحمد الناصري: «وكان رحمه اللّه من أهل الورع والدين، والاتباع بالسنة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»[1] ووصفه بأنه من المحتاطين لدينهم، الذين لا يقدمون على أمر ولا يلفظون بقول إلا عن بصيرة[2]. ولقبه عبد السلام ابن سودة بالفقيه العلامة[3]، وبالشيخ الإمام[4]. ووصفه سيدي أمّان بـ«العالم العامل والولي الكامل»، وقال فيه: «كان من أهل العلم والعرفان ورفعة القدر الواضحة البرهان»[5]. ووصفه محمد مخلوف بـ«الفقيه الفاضل، المتصوف العالم العامل»[6]. وبذلك يصدق عليه بحقٍّ قول ابن عسكر فيه: «ففضائله أكثر من أن تحصى، ومناقبه أجل من أن تستقصى»[7].

ومن شيوخ الهبطي الكبير الذين تعلم منهم السمعيات والنقليات محمد بن عبد اللّه القسطلي الأندلسي، وأبو العباس أحمد الزقاق، وأبو العباس أحمد بن محمد العبادي التلمساني الأكبر، والحاج زروق الزياتي وأبو عبد اللّه محمد بن يجيش التازي. أما التصوف وطريق الوصول إلى اللّه والتربية النبوية فاعتمد فيها على شيخه الرباني سيدي أبي محمد عبد اللّه الغزواني رضي اللّه عنه[8].

---

(1) الاستقصا: 5/ 87.

(2) انظر نفسه: 5/ 88.

(3) انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى: 2/ 441.

(4) انظر نفسه: 2/ 407.

(5) بلوغ الآمال: 205.

(6) شجرة النور الزكية: 284.

(7) دوحة الناشر: 8 ـ 9.

(8) انظر نفسه: 87، وأيضاً الروض العطر الأنفاس: 336. ولمعرفة ترجمة =

ومن تلامذته: ابن عسكر كما صرح بذلك في «دوحة الناشر» في عدة مواضع، فقد قال: «سمعت شيخنا أبا محمد سيدي عبد اللّه الهبطي يقول...»[1]، وقال: «سألت شيخنا الإمام أبا محمد عبد اللّه الهبطي قدس اللّه روحه...»[2]. ومن تلامذته أيضاً الشيخ سيدي ابن حسون دفين سلا[3]، وأيضاً ابنه الشيخ أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه الهبطي. ويفيدنا العلاّمة المحقّق والفهّامة المدقّق سيدي محمد المنوني ـ رضي اللّه عنه وأرضاه وقدّس روحه الطاهرة ـ أن هذا يسمى بالهبطي الصغير[4]، كما أن أباه يسمى بالهبطي الكبير[5]. وابنه هذا هو الذي وضع أهم ترجمة لأبيه، إذ صاغ منظومة طويلة ذكر فيها بتفصيل نسبه وشيوخه وتلامذته والفتن التي سادت عصره، وقد وَسَمَها بـ«المعرب الفصيح عن سيرة الشيخ الرضي النصيح»[6].

وبعد معرفة القيمة العلمية للهبطي الكبير، نعرّج على الثمر

---

= الغزواني بتفصيل انظر دوحة الناشر: 96 ـ 99، والاستقصا: 4/ 144 ـ 148 وبلوغ الآمال: 187 ـ 206، ويفيدنا ابن عسكر أن الهبطي الكبير كان شديد الشكيمة في الإنكار على الفقراء وطريق الصوفية، ثم صار صوفياً حين لقي الغزواني بفاس (انظر دوحة الناشر: 8).

(1) دوحة الناشر: 34.

(2) نفسه: 98، وانظر أيضاً الصفحات 50 و122 و124.

(3) انظر الاستقصا: 6/ 110.

(4) انظر المصادر العربية لتاريخ المغرب: 1/ 135.

(5) انظر نفسه: 1/ 129.

(6) ذكر هذه المنظومة ابن سودة في «دليل مؤرخ المغرب الأقصى»: 2/ 99 والمنوني في «المصادر العربية لتاريخ المغرب»: 1/ 135، وتوجد نسخ منها بخزانة القرويين مسجلة برقم 1389.

العلمية لتحصيله العلمي والديني؛ فتقرر أنه كان ذا شكيمة شديدة في محاربة البدع والأهواء والضلالات التي استطار شرّها في عصره، وفي مقاومة الفرق الضالة التي مخرت عباب مجتمعه كما تلوح بذلك المصنفات التي ترجمت له ووصفته بالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر كما أشرنا قبل حين، وكما تصرح بذلك منظومته الموسومة بـ« الألفية السّنية في تنبيه الخاصة والعامة على ما أوقعوا من التغيير في الملة الإسلامية »، استنكر فيها ما ساد من بدع منافية للشريعة والأخلاق كالاختلاط بين الجنسين، والاستهتار بالشريعة والحرمات. وقد عبر عن استنكاره وسخطه أيضاً في منظومته التي ذيل بها رسالته « جواب عن معنى لا إله إلا اللّه وعن مقصود ما احتوت عليه من نفي وإثبات »، فمما قاله فيها:

يا حسرتي على فحول العلم    قد ذهبوا من بيننا يا قومي
قد ذهبوا لدى الزمن الفارطْ    ولا بقي من يكشف الأغاليط[1]

ولتأكيد المقام العلمي والعملي السّني الذي يتبوؤه الهبطي الكبير يكون لزاماً علينا ذكر بعض مصنفاته، وهذا ما ستضبطه النقطة التالية، مع التنبيه على أن ذكرها وارد على جهة المثال لا الحصر.

(1) وهما البيتان 26 و27. وللهبطي الكبير شعر من نمط آخر أيضاً وهو الشعر الصوفي والعرفاني، روي عنه في كتب التراجم والمناقب، مثال ذلك ما رواه عنه أبو سالم العياشي (ت1090هـ/ 1679م):

بدايةُ السّاداتْ ∴ العينُ في العينِ
غابوا عن الصفاتْ ∴ فكيف بالكونِ

(انظر اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر: 204).

**النقطة الثانية: آثاره العلمية:**

1 ـ الألفية السّنية في تنبيه الخاصة والعامة على ما أوقعوا من التغيير في الملة الإسلامية.
2 ـ تقييد في معنى لا إله إلا اللّه نظماً ونثراً: وهي الرسالة السادسة في هذا الكتاب.
3 ـ تقييد في الهيللة: وهي الرسالة الرابعة في هذا الكتاب.
4 ـ جواب عن سؤال يتعلق بشرح كلام الغزالي.
5 ـ جواب عن معنى لا إله إلا اللّه وعن مقصود ما احتوت عليه من نفي وإثبات: وهي الرسالة الثانية في هذا الكتاب.
6 ـ رسالة في الهيللة: وهي هذه التي بين أيدينا.
7 ـ رسالة أخرى في الهيللة: وهي الرسالة الثالثة في هذا الكتاب.
8 ـ شرح القواعد الإسلامية والإيمانية وغيرها من الأذكار الشرعية: وهي الرسالة الثامنة في هذا الكتاب.
9 ـ عقيدة مباركة في معنى لا إله إلا اللّه: وهي الرسالة الخامسة في هذا الكتاب.
10 ـ عقيدة وجيزة: وهي الرسالة السابعة في هذا الكتاب.
11 ـ قصيدة برهان الاختصار في إحياء دين النبي المختار.
12 ـ المناجاة.
13 ـ منظومة في بيان عدة المطلقة والمستحاضة والنفساء والمستبرأة توجد نسخة منها محفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1647 د)، ضمن مجموع من ورقة 2 أ إلى 3 ب. وقد شرح هذه الأرجوزة أبو القاسم بن علي الحساني

الخَلومي ابن خجو المتوفى عام 956هـ/ 1549م، ويوجد من هذا الشرح نسختان بالخزانة العامة بالرباط، واحدة تحت رقم (927 د) ضمن مجموع من ورقة 138 أ إلى 152 ب، وأخرى تحت رقم (1649 د) ضمن مجموع من ورقة 268 ب إلى 283 أ.

14 ـ منظومة في التوحيد والطريقة والحقيقة: وَسَمها بـ«شمس الضحى»؛ وهي في المرتبة التاسعة من هذا الكتاب.

15 ـ وصية جامعة وأدعية نافعة: وهي الرسالة العاشرة في هذا الكتاب.

# مضمون الرسالة

والكلام عليه في نقطتين: أولاهما موضوع الرسالة وأهم اشكال فيه، وثانيتهما نسبتها إلى صاحبها بمقارنة مضمونها بمضامين بعض رسائله الأخرى.

**النقطة الأولى: موضوع الرسالة**: المخطوطة عبارة عن رسالة في بيان بعض أسرار «لا إله إلا اللّه»، والتدرج في تلقين هذه الأسرار، وفي الكشف عمّا بها من أنوار.

يُذكَر في عَجزها أنها في أصلها كتاب لمحمد الهبطي. فيكون أهم إشكال يعترضنا هو: من هو محمد الهبطي؟

المعروف أن من يحمل هذا الاسم من علماء المغرب هو أبو عبد اللّه محمد الهبطي المتوفى عام 1001هـ/ 1593م[1]، وهو ابن الهبطي الكبير. لكن من العبث أن نتصور أن يكون هو المقصود، فهو تلميذ لأبيه ـ كما قلنا آنفاً ـ لا العكس، فهل يكون المقصود والد الهبطي الكبير؟ هذا مستبعد جداً، إذ لو كان الأمر كذلك لصرح به لِمَا فيه من دواعي الفخار والاعتزاز بوراثة النبوة، فما رأينا أحداً أخذ العلم عن أبيه وساق اسمه إلا صرّح بأبوته فمجّد حتى بالغ. فهل يكون المقصود هو أبا عبد اللّه الهبطي الذي ذكر ابن القاضي أنه توفي عام 744هـ/ 43 ـ 1344م[2] أو هو الأستاذ أبو

---

(1) انظر نشر المثاني: 1/ 35، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى: 2/ 399.

(2) انظر لقط الفرائد: 195.

عبد اللّه محمد بن أبي جمعة الهبطي المتوفى بفاس عام 930هـ/ 1524م[1]؟ أو الأمر يتعلق بهبطي آخر غيرهم؟

هذه الاحتمالات تكون ذات إشكال إذا اعتبرنا الفقرة الأخيرة في المخطوطة من كلام الهبطي الكبير. والحال أنها من كلام الناسخ الذي اعترف بأنه تصرف في الرسالة بزيادة بعض الكلمات بقصد البيان ودون المسّ بجوهرها. فيرتفع الاشكال بالقول إن كلمة «أبو» سقطت من النسخة، وقد علمنا أن كنية الهبطي الكبير هي «أبو محمد». وهذا الاحتمال تؤكده الأدلة التي نبسطها في النقطة الثانية من هذا المطلب.

ومهما يكن من أمر؛ فإن هذه الرسالة ذات فرائد منجزة وفوائد مركَّزة، فهي على اقتضابها تعرض تفسيراً واضحاً ومقنعاً للهيللة، إذ إنها تغني عن قراءة مجلدات أُلفت في المسألة، فيصدق عليها ما وصفوا به بعض المصنفات المُحْكَمَة بأنها سراج للقارئ المبتدي وتَذكار للمُقرئ المنتهي. بيد أن أهم ما يجب الكلام عليه وتحصيله في هذا المطلب هو التحقيق في نسبة الرسالة إلى الهبطي الكبير لرفع الاشكال الثابت في النقطة الأولى، ومَوْئِلُ ذلك في النقطة التالية:

**النقطة الثانية: نسبة الرسالة إلى صاحبها**: إن المطلع على مصنفات الهبطي الكبير يدرك أن هذه الرسالة صحيحة النسبة إليه، فهي غير غريبة عن المنهج الذي يضبط أفكاره، وعن الإطار العام الذي يجدد الخطوط العريضة لإصلاحه الديني. وسنربط بعض الأفكار الواردة في الرسالة بالتوجه العام لسائر مصنفاته لندلِّل على صدق المدَّعي. فقد قال في رسالة له في الهيللة: «... فمعنى

(1) انظر درة الحجال: 2/ 152، وشجرة النور الزكية: 277.

أشهد أن لا إله إلا اللّه أي أعلمُ وأحقّقُ وأعرف معرفة صحيحة تامة لا يدخلني فيها شك ولا ريب ولا تكذيب ولا احتمال عيب، دَرِبْتُ ذلك بعقلي وقلبي وروحي ونفسي وكلّي، أي لا معبود في الوجود يستحق العبادة وحده من غير شك إلا اللّه الخالق لنا ولآبائنا الأولين ولجميع الموجودات سواهم من العدم»[1]، فهذا مضارع بمعناه ومبناه لما في المخطوطة: «. . . فمثل هذا يستحق أن يشار له إلى بعض أسرار معاني لا إله إلا اللّه، نحو أن يتوقى كل ما سوى المعبود بالحق حتى لا يلتفت بقلبه ولا بنفسه وروحه وسره إلى سواه، بل لا يرى في الوجود إلا إياه . . .».

وقال في رسالة أخرى في الهيللة: «. . . فافهم المقصود من هذا الكلام تَفُزْ بتحقيق معرفة لا إله إلا اللّه، لأن في معرفة معناها هو خير الدنيا والآخرة، ومن جهل معناها يخاف عليه واللّهِ من الخلود في النار كما نص عليه العلماء الأخيار . . .»[2]. وفي مناظرة بينه وبين الخروبي[3] واليسيثني[4] ذكرها صاحب «النبوغ المغربي» قال الهبطي الكبير في بيان وجه المؤاخذة على الخروبي: «إنه سلط النفي على ما ادعاه المشركون وما ادعاه المشركون ثابت موجود لا يتناول النفي بالكلية»، وقال في بيان وجه المؤاخذة على اليسيثني: «إنكم تعقبتم على الخروبي قصْر النفي على ما ادعاه

---

(1) انظر الرسالة الثامنة من هذا الكتاب.

(2) انظر الرسالة الثالثة من هذا الكتاب.

(3) محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، الجزائري، توفي سنة 963هـ/ 1555م. (انظر ترجمته في دوحة الناشر: 126 ـ 127، ونفحات النسرين والريحان: 116 ـ 117).

(4) محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الفاسي اليسيثني، توفي سنة 959هـ/ 1551م (انظر ترجمته في دوحة الناشر: 58 ـ 59، وسلوة الأنفاس: 3/ 59 ـ 60).

المشركون فقط، حتى إنه لو أدخله في جنس الإله ليعُمَّ لكان مسلَّماً عنكم، والحق إن جنس الإله المعبود بحق غير جنس الإله المعبود بالباطل، إذ كل واحد مميَّز بحدِّه محتوٍ على أفراده»[1]، ونَفَسُ هذا الكلام هو نَفَسُه الذي يسري في سطور المخطوطة، وينبعث في أفكارها، وما نقلناه الآن يمكن تلخيصه في عبارة وردت فيها وهي: «. . . وكل معبود غير اللَّه إنما هو معبود بالباطل وعابد ذلك الغير فهو كافر باللَّه. . .». وعلى أيٍّ فقراءة المخطوطة بإنعام نظر توصل حتماً إلى ما أثبتناه.

علاوة على ذلك؛ فإن منهج الهبطي الكبير في تلقين الهيللة هو مراعاة تفاوت العقول، وتفهيم معانيها وأسرارها بحسب ارتقاء مَن تُلقَّن له في سلّم التعلّم والتحصيل، فقد قال في إحدى رسائله في الهيللة «. . . فإن تفاوت الرجال بقدر العقول، وتفاوت العقول بقدر الهمم، وتفاوت الهمم بقدر المهتمّ به»، إلى أن قال: «وأولى ما يسرع اللبيب لتعليمه وتفهيمه معنى لا إله إلا اللَّه المأمور بوجود تقديمه»[2]، وهذا عينه مرعيّ في المخطوطة المراد تحقيقها، فكلها تسير وفق هذا المنحى، ونكتفي بنقل عبارة واحدة للتدليل على صدق الدعوى؛ فقد قال: «. . . ويكون ذلك على حسب الملقي والملقى إليه من تقليد مجرد، أو بزيادة الدليل عليه، أو بالإشارة إلى نفي ما سوى المعبود. . .».

ومقصد الهبطي الكبير من تصنيف رسائله في التوحيد والهيللة هو تصفية عقيدة العام والخاص من شوائب الاعتقادات الفاسدة بسبب ما انتشر في عصره من بدع أفسدت العقيدة وجعلت كلمة

---

(1) انظر النبوغ المغربي: 2/ 50.

(2) انظر الرسالة الثالثة من هذا الكتاب.

الشهادتين مفرغة من محتواها الحقيقي ولا يسري أثرها الروحي في أخلاق الناس وسلوكهم، ومما قاله في ذلك في «الألفية السَّنية»:

مـن قـال لا إلـه إلا الـلَّـه مـنـهـم كـبـغـل نـاهـق تـراه
لـولا ظـهـوره بـصـورة الـبشـر لقلت هذا الشخص من نوع البقر
من قلة اهتمامهم بالتوحيد لـم يتعـلـموا ما قاله السـديد
قد أهملوا فانهملوا كما ترى زادوا على جميع ما قد غيرا[1]

ومما قاله في ذلك أيضاً: «فإنه لما كان لا بدّ من فهم كلمة الإخلاص التي هي لا إله إلا اللَّه، وإلا لم ينتفع بها قائلها من إنقاذ مهجته من الخلود في النار، كما نص على ذلك علماؤنا رضوان اللَّه عليهم، وجب على من يفتح اللَّه له في فهم معناها أن يبذل مجهوده في إبلاغ ذلك للخاص والعام من الأمة المحمدية، وقد فُتِح لي في شيء من معناها والحمد للَّه. وما زلت منذ وَفَّق اللَّه إلى ذلك أنبِّه بالكلام للحاضرين، وبالكتب للغائبين حتى ذاع ذلك في الناس واشتهر...»[2]. وهذا هو عينه المعتبرة في تصنيفه للمخطوطة، فمما قاله في ذلك: «... وكذلك نعتني بتلقين لفظها وإفهام معناها للأهل والولد والأتباع، بل وإلى كل من ينتسب إلى الإسلام بانتساب الشرع ذكوراً وإناثاً، أحراراً وعبيداً، على قدر الانتفاع...»، وحض على تلقينها إلى العوام كافة بأيسر ما يدركون به المعاني، ولو باللغات البربرية، ويذكر مقصده من تصنيف هذه الرسالة فيقول: «... لأن ذلك هو الحامل لي على تنبيه ذوي الأفهام».

(1) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1095د)، ورقة 1ب.
(2) انظر الرسالة السادسة في هذا الكتاب.

ويجعل أول خطوة في تفهيم كلمة التوحيد هو النطق بها سالمة، وتقويم اللسان بتحقيق حروفها قبل اللفظ بها، فقد قال في «الألفية السَّنية»:

فلقنوهم بأذمر الفطانة | النطق بالتوحيد والرسالة
---|---
حتى يكون الحسن باللسان | ليدخلوا في ظاهر الإيمان
من الفساد أبطلوا نطق اللسان | والنطق شرط عندنا في الإيمان
كذلك المشروط لا يكون | ما لم يكن بالشرط فاستبينوا
والنطق بالتوحيد أول الفروض | فلا يكون أبداً كالمفروض
لو لم تكن لديهمُ فصاحة | لكان في إعذارهم سماحة[1]

وهذا عينه صاغه منثوراً في المخطوطة: «... فأول ما ينبه من تقدم عنده شيء من علم الكتابة بأن ترسم له هكذا: «لا إله إلا اللّه، محمد رسول اللّه ﷺ»، وينبه على قطع الألف من «لا إله» ومن «إلا» ...»، بل الرسالة برمّتها تؤكد ضرورة سلامة النطق بالهيللة.

وعلى أية حال؛ لو راجعنا سائر تواليفه التي تكلم فيها على التوحيد والهيللة فسنلاحظ عناصر الاشتراك واضحة وكثيرة بينها وبين المخطوطة المراد تحقيقها، وفيما ذكرناه غُنْية وكفاية.

(1) الألفية السنية: ورقة 1ب.

# وصف شكل المخطوطة

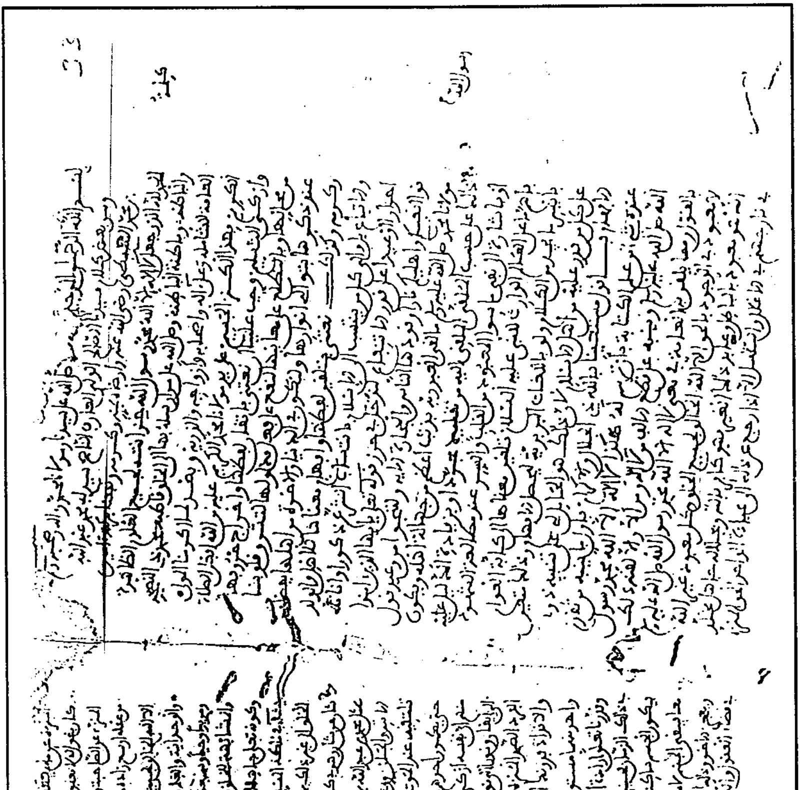
توجد المخطوطة في الخزانة العامة بالرباط ـ وهي الوحيدة لحد الآن ـ مسجلة تحت رقم (2416 د)، ضمن مجموع مُرَقَّم بالصفحات والأوراق، فباعتبار الصفحات موضعها يعتد من الصفحة 33 إلى 39، وباعتبار الأوراق من الورقة 18 ب إلى 21 ب. وقد كتبت بخط مغربي وسط، مع استعمال اللونين الأحمر والأخضر لرؤوس الفقرات. عدد سطور كل صفحة 27 سطراً، ومقياسها طولاً وعرضاً 23/ 17 سم. وبالورق خروم في الحواشي نالت من بعض الحروف في رؤوس الأسطر.

وبالنسخة تعقيبات على بعض ما ورد في المتن، وإلحاقات في الحاشية تداركت ما وقع في المتن من زلات قلم أو إغفال عن إثبات بعض الكلمات، لكنها مع ذلك لم تنج من بعض الأخطاء النحوية والإملائية أو الناتجة عن سهو في النسخ أو سقوط بعض الحروف والكلمات، وقد صححتها وأضفت ما سقط منها اعتماداً على قواعد اللغة أو السياق، مع الإشارة إلى ذلك في الهوامش.

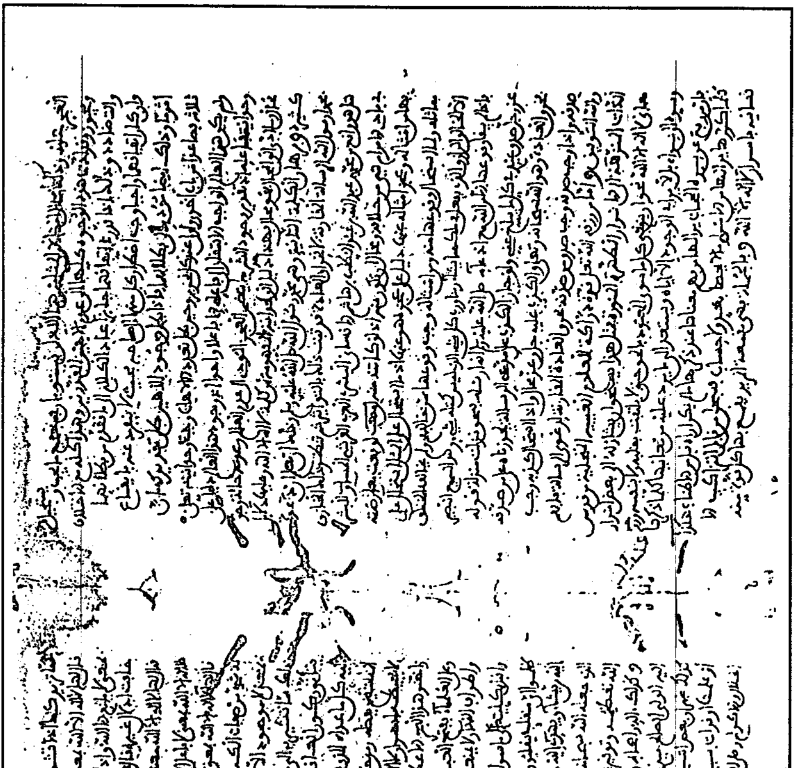
هذا وإن الناسخ ـ وهو غير مذكور شأنه شأن تاريخ النسخ ـ يثبت (لكن) و(إله)... هكذا: (لا كن، إلاه...)، ويرسم الفعل (رأى) هكذا: (رءا). وهذا صحيح بمقتضى الخط المغربي، لكنني آثرت إثبات الجميع هكذا: (لكن، إله، رأى، ...) مجاراة للرسم المشرقي لكونه هو المعمول به في الرسم المعاصر.

كما أن الناسخ قد يثبت الكلمة في آخر السطر وسائرها في أول السطر الموالي، مثال ذلك كلمة (الإنسانية)، إذ أثبت (إلا) في آخر السطر 26 من الصفحة الثالثة، و(نسانية) في أول السطر الذي يليه. وهذا إن كان مقبولاً لدى الأقدمين؛ فإن الرسم المعاصر يأباه ولا يرحّب به، فاجتنباه.

بقي أن أنسبه على أن المخطوطة أُردِفت بثلاث صفحات، قد يظهر لأول نظرة أنها جزء من الرسالة، لأن الكلام استؤنف فيها دون فصل بحمدلة أو بسملة أو تصلية. لكن عند النظر والتحقيق يتبين أنها منفصلة عنها، ولا تمت إليها بصلة، على الرغم من اتحاد الموضوع بينهما. فالهبطي الكبير قد ختم كلامه في الرسالة بما يؤكِّد أن نَفَسَهُ قد انقطع، ولُعاب قلمه قد جَفَّ ونضب. ويشفع لهذا قول الناسخ: «وهذا آخر ما أشار إليه الولي الصالح أبو محمد الهبطي . . .». وقد تكون هذه الصفحات الملحقة قطعة من مصنف آخر للهبطي الكبير أو لغيره.



اللوحة الأولى من «رسالة في الهيللة»



اللوحة الأخيرة من « رسالة في الهيللة »

# نص الرسالة

بسم اللّه الرحمن الرحيم و[1] صلّى اللّه على سيّدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، ومن بعض كلام سيدنا الصالح الولي العارف الناصح سيدي أبي محمد عبد اللّه بن محمد الهبطي، رضي اللّه عنه وأرضاه بمنّه وكرمه، ونفعنا ببركته؛ آمين:

الحمد للّه الذي جعل كلمة «لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه» خزانته لجميع العلوم الظاهرة والباطنة وباطنة الباطنة، وصلّى اللّه على من أرسله بها إلى الخلق قاطبة محمد ذي النصيحة العامة الشاملة، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته[2]، وبعد:

فلمّا[3] أكرمنا المولى الكريم بهذا الكنز الجسيم على يد مولانا محمد الكريم ـ عليه من اللّه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ وجب علينا أن نعتني بإتقان لفظها، وإخراج حروفها من محالّها، وبالتطلع على معانيها، لنقع على فعل مدلولها، لتشرق قلوبنا عند ذكرها بتوالي أنوارها ولنكون في الدنيا والآخرة من أهلها بفضله وكرمه، وكذلك نعتني بتلقين لفظها وإفهام معناها للأهل والولد والأتباع، بل وإلى كل من ينتسب إلى الإسلام بانتساب الشرع ذكوراً وإناثاً، أحراراً و[4] عبيداً، على قدر الانتفاع، لندخل في حرز قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(1) الواو غير موجودة في ص.

(2) ص: الذرية.

(3) ص: لسما.

(4) ص: أو.

ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: 6]، ولننجوا من وعيد قول مولانا رسول اللّٰه محمد ﷺ: «ما لقي العبد ربه بذنب أعظم من جهالة أهله»[1]، ويكون ذلك على حسب المُلْقِي و[2] المُلْقَى إليه من تقليد مجرد، أو بزيادة الدليل عليه، أو بالإشارة إلى نفي ما سوى[3] المعبود من القلب والسر عند مطالعة الشهود.

فأهم ما على العالم الوارث للنبي عليه السلام تلقين معناها إلى كافة العوام بأيسر ما يجد من الكلام، ولو باللغات البربرية، ليحصل الإفهام وذلك مُتعيِّن على كل من قدر عليه من أهل الإسلام، لأن ذلك هو الحاصل لي على تنبيه ذوي الأفهام؛ فأقول مستعيناً باللّٰه ذي الجلال والإكرام:

فأول ما يُنَبَهُ عليه[4] مَنْ تَقَدَّمَ عنده شيء من علم الكتابة بأن ترسم له هكذا: «لا إلٰه إلاّ اللّٰه محمد رسول اللّٰه ﷺ» ويُنَبَّهُ على قطع الألف من «لا إلٰه» ومن «إلاّ» وإلا لَقَّنه ذلك بالقول.

ومما يُلَقَّن به العامة في معنى «لا إله إلاّ اللّٰه محمد رسول اللّٰه ﷺ»: لا معبود في الوجود بالحق إلا اللّٰه الخالق لجميع الخلق، وكل معبود غير اللّٰه إنما هو معبود بالباطل، وعابد ذلك الغير فهو كافر باللّٰه وبجلاله، جاهل مخلد في نار جهنم، في الأغلال

---

(1) نقله الغزالي في «الإحياء»، وعلق عليه العراقي بقوله: «ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي سعيد، ولم يجده ولده أبو منصور في مسنده» المغني: الباب الأول من كتاب النكاح، 2/ 38.

(2) الواو غير موجودة في ص.

(3) ص: سوا.

(4) غير موجودة في ص.

والسلاسل، إلا إذا رجع عن ذلك إلى عبادة الواحد الحق المنزه عن ما يعتقده الجاهل الذاهل الغافل.

ومَنْ رآه منهم أنّ عقلَه أكبرْ زَادَهُ من هذا أكثر، كأن يقول له: لا معبود في الوجود بالحق إلا اللّٰه الخالق لجميع الخلق، الواحد الأحد، الفرد الصمد، المنزه عن المصاحبة والوالد والولد، المقدس عن الشركاء والنظراء والأمثال والأنداد.

ثم إذا رأى منهم مَنْ عقله أوسع زاده من هذا ما هو أنفع، كمثل أن يقول له زيادة مع ما تقدم: لا معبود في الوجود بالحق إلا اللّٰه الخالق لجميع الخلق، الواجب الوجود، الموصوف بالقدم والبقاء والمخالفة للخلق، وبالغنى[1] والوحدانية والعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام، وكونه عالماً وقادراً ومريداً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً. فالمستحيل في حقه أضدادها، وهو العدم والفناء والحدوث والمشابهة للخلق والفقر والشريك والجهل والعجز والإكراه والموت والصمم والعمى والبكم، وكونه تعالى جاهلاً وعاجزاً ومكرهاً وميتاً وأصمَّ وأعمى وأبكم. الفاعل بمحض اختياره ما يشاء في ملكه، المنزه عن الأغراض في أفعاله وأحكامه، الباعث المرسلين لإقامة الحجة على الخلق إلى غير ذلك مما يُميِّز به الصانع البديع عن المتكلم والمستمع، إذ هو الكريم المنّان الذي لا يشغله شأن عن شأن، وهو في كل طرفة عين[2] في شأن.

وكذلك يُلقّنوا في «محمد رسول اللّٰه ﷺ» بمثل: محمد بن عبد اللّٰه بن عبد المطلب، جاءنا مرسولاً من عند اللّٰه سبحانه،

---

(1) ص: الغنا. (2) ص: العين.

أرسله بالقرآن إلى جميع الإنس والجان، ووجب علينا تصديقه بجميع ما أخبر به مما يكون أو قد كان، كخبره عمّا[1] تلتقيه عند الموت وفي القبر والبرزخ والجنة والنيران. ويقرر ذلك لهم حتى يكون أحدهم في شدة الاعتقاد كالعالم الراسخ، وفي عدم التزلزل كالجبل الشامخ.

ومن رآه منهم أن نفسه أزكى وعقله أذكى رقّاه إلى الدليل والبرهان ليزداد إيماناً إلى إيمان، وإيقاناً إلى إيقان، ونوراً إلى نور، وحبوراً إلى حبور، فيقول له: حين صَحَّ لك اعتقاد وحدة الواحد الأحد، الفرد الصمد، المنزه عن الصاحبة والوالد والولد، المقدس عن الشركاء والنظراء والأمثال والأنداد، فدونك البرهان على ذلك بأقرب المسالك، وذلك لو قَدَّرنا وجود إلهين اثنين، كل واحد منهما مستوٍ في الصفات المتوقِّف عليها صدور الفعل، وهي: القدرة والإرادة والعلم والحياة، وقدّرنا تعلق إرادة أحدهما بتحريك جسم واحد في زمان واحد، وقدّرنا تعلق إرادة الآخر بتسكينه في ذلك الزمان، فحينئذٍ لا يخلو[2] الأمر من أربعة أوجه، وكلها محال؛ وهي إما أن تَنْفُذَ إرادتهما معاً، فيكون الجسم ساكناً متحركاً في زمان واحد، وذلك محال لاجتماع النقيضين، أو لا تنفذ إرادتهما معاً فيبقى الجسم لا متحركاً ولا ساكناً، وذلك محال لارتفاع النقيضين، وإما أن تنفذ إرادة أحدهما ويعجز الآخر، وذلك محال لاتصافهما بالعجز، لأن ما[3] وقع للمثل جارٍ على مماثله، والجائز كالواقع في قضاء العقول، والعجز ينافي وصف الألوهية. وإما أن تنفذ إرادة أحدهما من غير تجويز العجز عليه، وذلك محال

---

(1) مطموسة في ص.

(2) ص: يخلوا. (3) ص: الأنما.

أيضاً، لأن المثلين هما اللذان يستويان في جميع ما يجب ويستحيل ويجوز.

وقد أدت هذه الوجوه كلها إلى عدم إلهين مُقدَّرين[1]. وهذا كله مع الاختلاف والتضاد، وذلك إذا قررنا اتفاقهما جائزاً عاد الكلام إلى ما تقدَّم من بطلانهما. وإن كان اتفاقهما واجباً وجب اضطرار كل منهما إلى صاحبه، بحيث لا ينفرد عنه بإيقاع أثر ما، وذلك أيضاً مُؤَدٍّ إلى بطلانهما.

فإذا بطل وجود إلهين بكل تقدير، كان ثلاثة فصاعداً من باب أحرى وأولى عند كل نحرير. وحين بطل تعدد الإلـهات وجبت وحدانيته تعالى.

ولم يكن هذا العالم الواجب الافتقار إلى فاعله فاعلاً واحداً، إذ وجود هذا العالم دليل على وحدانية فاعله، إذ تقدير وجود الشريك يتضمن العجز المؤدي إلى عدم العالم، وعدمه حالة وجوده[2] محال، وما أدى إلى المحال فهو محال. فهذا دليل الوحدانية المفهومة من كلمة «لا إله إلاّ اللّه» وعليها دلائل كثيرة.

وبرهان الكلمة الثانية؛ وهي «محمد رسول اللّه ﷺ»، وذلك أن تعلم أن دعوةَ محمدٍ[3] رسول اللّه الرسالة المقارنة لانخراق العادة قد ثبت ذلك بالتواتر[4].

ثم تنظر ذلك الخارق: هل هو واقع من محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب بن هاشم الإنساني البشري العربي القرشي المساوي للبشر في بادئ الأمر، أم هي من خلافه؟

---

(1) ص: المقدرين.
(2) ص: وجو.
(3) ص: محمداً.
(4) ص: التواتير.

ومحال أن تكون منه، إذ لو كانت منه لوقعت معارضته بها من أمثاله، وعجزُ أمثاله عنها دليل على عجزه هو عنها، إذ ما استحال على المِثْل استحال على مماثله، ولما استحال وقوعها منه ومن أمثاله وجب وقوعها ممن خالفهم، ولم يخالف الخلق إلا الخالق الرازق الذي يفعل في ملكه ما يشاء، ربُّنا وربُّ كل شيء، الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

فإذا لم يبق[1] وقوعها إلا من اللّه مع ادعائه ﷺ أنه أرسله، فبحقٍّ نزلت منزلة قوله عزّ وجلّ: «صدق عبدي في كل ما يبلغ عني»[2].

ولو جاز الكذب على مدعي الرسالة لجوزناه على من صَدَّقَهُ بخَرْقَ العادة، وهو اللّه سبحانه وتعالى. والكذب عليه جل وعز محال. وإذا استحال كذبه وجب صدقه، وإذا وجب صدقه وجب صدق من صَدَّقَه بخرق العادة المقارنة لدعوى الرسالة، فافهم، وباللّه التوفيق.

وأمّا من رزقه اللّه قوة دَرَّاكةً للعلوم الغيبية المتجلية من قُدْس الذات المنزهة إلى الأسرار المطهرة المنورة، فمثل هذا يستحق أن يشار له إلى بعض أسرار معاني «لا إله إلاّ الله» نحو أن يتوقّى كل ما سوى المعبود بالحق حتى لا يلتفت بقلبه ولا بنفسه وروحه وسره إلى سواه، بل لا يرى[3] في الوجود إلا إياه، ويستعد إلى ما يرد عليه من معانيها كلما ذكرها، فإن من رُفِع عن سره الحجاب يرى[4] لها من فهم معانيها عند ذكرها ما لم يكن رآه[5] قبلُ من الإطناب. هكذا، كلما كررها يرى[6] لها من الأسرار ما لا

---

(1) ص: يبقا.
(2) لم أقف عليه.
(3) ص: يرا.
(4) ص: يرا.
(5) ص: أراه.
(6) ص: يرا.

يحصى[1] بعدٍ ولا حساب. فسبحان من قابل التراكيب الإنسانية بأسرار «لا إله إلاّ اللّه».

وبالجملة فهي مَقْمَعَةٌ للمريد، يقمع بها كل قوة منه، عما تريد كما إذا تشوّفت نفسه إلى مزيد نفر، وتستنفر إلى عطاءٍ من غير المعطي الحق؛ قال لها: «لا إله إلاّ اللّه» بمعنى لا معطي إلا اللّه وإذا اشمأزَّت لمنع من غيره؛ قال لها: «لا إلٰه إلا اللّه»، بمعنى: لا مانع إلا اللّه. وإذا ركنت إلى إعزاز من غيره، قال لها: «لا إله إلاّ اللّه» بمعنى لا معز إلا اللّه، وإذا خافت إذلال غيره، قال لها: «لا إله إلاّ اللّه» بمعنى: لا مذل إلا الله. وإذا همّت[2] بتملق إلى غيره[3] لنيل رزق؛ قال: «لا إلٰه إلاّ اللّه» بمعنى[4]: لا رازق إلا اللّه. وإذا رأى لنفسه أو لمخلوق غيره فعلاً ما، قال لها: «لا إلٰه إلاّ اللّه» بمعنى: لا فاعل إلا اللّه، وإذا رأت لنفسها علماً أو فهماً أو غير ذلك من صفات الكمال، قال لها: «لا إلٰه إلاّ اللّه» بمعنى: لا حي إلا اللّه، ويرى سواه في الحقيقة ميتاً[5]، والميت في الحقيقة ليس له شيء من صفات الكمال، بل إذا رأيت لنفسك أو لغيرها وجوداً سواه قل: «لا إلٰه إلاّ اللّه» بمعنى: لا موجود إلا اللّه، إذ من لا قيام له بنفسه استوى وجوده مع عدمه. إلى غير ذلك مما تشير به إلى غير الملك الحي المحيي، لا إلٰه إلاّ هو، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96].

وكيف يتأتى ركون العاقل لغير الإلٰه الواحد الحي، وهو الغني

---

(1) ص: يحصا.
(2) ص: أهمت.
(3) ص: لغيره.
(4) غير واضحة في ص.
(5) ص: ميت.

عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، الذي هو معه أينما كان، ومع[1] من كان؟! هكذا فقد هداه اللّه إلى الصراط المستقيم بفضله. ومَن خالف فقد خاب مَنْ بغيره تَلَوَّذَ، أو بغير مشاهدته تلذّذ.

و[2] بالجملة؛ لا يحيط بأسرار «لا إله إلاّ اللّه» على التفصيل إلا اللّه و[3] لا يعرف اللّه إلا اللّه، فاغترف من زاخر هذا البحر الأعظم بقدر ما وهبك من الفهم الكريم الأكرم، المتفضل على الكرماء بالكرم، وعلى العلماء بفتح العبارات كالدرر المنتظم.

فمن استعد لقبول الأسرار فللّه نفحات آناء الليل وأطراف النهار، لا يمنعها من أحد، ولا يُحْرَمُها إلا الغافل الذاهل الغبي الجاهل الذي أعرض عن مولاه، وأقبل بكليته على ما سواه، فأَوَّاهُ عليه أَوَّاهُ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[الجاثية: 23]، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227] ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت: 69]، ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[الشورى: 13].

وصلّى اللّه على سيِّدنا ونبيّنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، الذي جعله اللّه سبحانه باباً لكل خيرٍ وسرّ ونور، الوسيلة العظمى والغنيمة الكبرى. رزقنا اللّه تعظيمه وتوقيره كما ينبغي له، وكما يرضاه ربنا له، وكما يرضاه هو مِنّا، بفضل اللّه ورحمته، وكذلك آله وأصحابه وأزواجه وذريته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(1) غير موجودة في ص.
(2) ص: أو.
(3) الواو غير موجودة في ص.

وهذا آخر ما أشار إليه الولي الصالح سيدي أبو[1] محمد الهبطي، مع زيادة بعض كلمات للبيان، واللَّه أعلم أنها موافقة، ولعلها كذلك غير أن بعض النسخاء أسقط منها سيئاً[2].

نفعنا اللَّه سبحانه بها بمنّه، ومن قرأها أو طالعها أو عُلِقَتْ أو قُرِئَت[3] بسببه، أو زاد فيها بياناً شافياً تقويةً لعقائد الأنام، وزيادة خيرٍ بفضل ذي الجلال والإكرام، وصلّى اللَّه على مولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

(1) غير موجودة في ص.
(2) ص: شيء.
(3) ص: قرأت.

الرسالة الثانية

# جواب عن معنى لا إلٰه إلاّ اللَّه وعن مقصود ما احتوت عليه من نفي وإثبات

للإمام أبي محمد
عبد اللَّه بن محمد الهبطي
المعروف بالهبطي الكبير
المتوفى عام 963هـ/ 1555م

# تقديم

بادئ ذي بدء نلاحظ من خلال عناوين مصنفات الإمام الهبطي لكبير أن أغلبها في موضوع التوحيد والهيللة. وقد أشار إلى ذلك لميذه ابن عسكر الشفشاوني، وبعبارته: «وكان أحرص الناس على تعليم عبادة اللّه، ويأمر من يلقى بتعليم الأهل والأولاد العبيد والخدام والإماء، عملاً بقوله ﷺ: «لأن يهدي اللّه على ديك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[1]، وكان كثيراً ما حض على فهم مدلول الشهادتين بل اتخذ ذلك هجّيراً وديدناً لِمَا أى من استيلاء الجهل على الخلق»[2].

لقد كان الهبطي الكبير ضائقاً أسِفاً من الجمود الحاصل في عقيدة الناس، إذ غدت كلمة الإخلاص مفرغة من محتواها لحقيقي، ومجردة من مضمونها الروحي، ومن مقاصدها في شكيل المسلم عقلاً وقلباً وروحاً وسلوكاً، وصارت مادة دسمة علم الكلام والفلسفات الإلهية العقيمة.

فرسائله إذن تجسِّد ثورة روحية على الواقع العقدي والفقهي لذي طبع عصره، فَصَدَعَ بتجديد الدين وإحيائه، بإعادة الروح الحياة لكلمة التوحيد.

وهذا ما نلمسه أيضاً في الرسالة التي بين أيدينا، ومن عباراتها

---

(1) متفق عليه من حديث سهل بن سعد (انظر المغني: الشطر الثاني من كتاب ذم الجاه والرياء: 3/ 344).

(2) دوحة الناشر: 13.

الكاشفة عن ذلك: «... لمن بحث عن معناها حتى ظفر به على
التمام، والويل لمن التهى عنها»، ومنها «... وكل من جدّ في
إجباء دينه واستقام».

وأشير إلى أن فهرس الخزانة العامة بالرباط أحال إلى الرسالة في
«دوحة الناشر»[1]، لكن بالرجوع إلى هذا الكتاب نلفي ابن عسكر
قد ذكر كتاباً في الهيللة للإمام الهبطي الكبير بعنوان «الإشاد
بمعرفة مدلول كلمة الشهادة» فهل هو نفس الرسالة التي بين أيدين
بعنوان آخر، أو هو كتاب آخر غيرها؟

الاحتمال الثاني هو الذي أرجحه، فالرسالة التي بين أيدين
صغيرة الحجم، فهي في أربع صفحات، وكتاب «الإشادة» وصف
ابن عسكر بأنه كبير الحجم بالنسبة لسائر رسائله في الهيللة
وبعبارته «وألف في علم الهيللة أجزاء كثيرة، أكبرها جرماً وأكثره
فائدة كتاب الإشادة بمعرفة مدلول كلمة الشهادة»[2].

كما أن صياغة العنوان في الفهرسة المذكورة أُثبتت هكذا «رسال
في معنى لا إله إلا اللّه وعن مقصود ما احتوت عليه من نفي
وإثبات»، وهي صياغة فيها نظر، فالفعل «أرسل» لا يتعدى إلى م
يحتاج إليه بحرف الإضافة «عن»، ولتستقيم الصياغة إما أن نعوض
كلمة «رسالة» بكلمة «جواب» وإما أن نحذف حرف «عن» أ
نعوضه بحرف «في».

والاختيار الأول هو الأولى بالاعتبار، لأنه ينسجم مع ما قال
الهبطي الكبير في خطبة الرسالة: «فأيها السائل عن معنى لا إله إل

---

(1) انظر فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة للكتب
والوثائق بالرباط: القسم الثالث، الجزء الأول، صفحة 98.

(2) دوحة الناشر: 13.

اللّه وعن مقصود ما احتوت عليه من نفي وإثبات». فهذه العبارة تصرح بأنها جواب عن سؤال، وتحافظ على الصياغة السليمة بتعدي الفعلين «سأل» و«أجاب» بواسطة الحرف «عن»، وهي توحي أيضاً بالعنوان الذي يرتضيه صاحبها. وبذلك تكون صياغة العنوان السليمة هي: «جواب عن معنى لا إلٰه إلا اللّه وعن مقصود ما احتوت عليه من نفي وإثبات».

والتحقيق في صياغة العنوان يجرنا إلى التحقيق في نسبة الرسالة إلى صاحبها، وسيتم ذلك بوضع الرسالة في الإطار العام الذي يضبط أفكاره لنرى هل سيحصل التلاؤم أو لا؟

فقد قال في رسالته «عقيدة مباركة في معنى لا إله إلا اللّه»: «ويقولون الآلهة الباطلة هي المنفية بلا إلٰه إلا اللّه، فعلى هذا القول يلزمهم الكذب الذي لا شك فيه، وهو نفي الموجود، إذ الآلهة الباطلة موجودة شرعاً وعقلاً وحساً، مرئية بالأبصار في الدنيا والآخرة، فمن أخبر أنها منفية فقد كذب وافترى، وقال ما لم يقله عاقل البتة»، وقال فيها أيضاً: «فإذا فهمت هذا فنقول في معنى لا إلٰه إلا اللّه: لا معبود في الوجود بالحق إلا اللّه، فاللّه سبحانه انفرد باسم الإله وحده بحيث لم يشارك في اسم الإله الحق أحد غيره». وهذا عينه مذكور في الرسالة التي بين أيدينا، ومحلّه من قوله: «ولم يكن الإلٰه اسم حق إلا في حق اللّه» إلى قوله: «إذ المعنى هو المعدم كما تقدم، فافهم، وباللّه التوفيق».

ونقل العلامة عبد اللّه ثحنون قول أبي علي اليوسي[1] في الرد على عبد اللّه الهبطي: «وأما كلام الهبطي فموقع الاعتراض منه هو

---

(1) نور الدين أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، المتوفى عام 1102هـ/ 1690. (انظر «مؤرخو الشرفاء» لپروڤنصال: 189 ـ 191).

قوله: إن معبودات الكفار لا دخل لها في النفي، فإن القول بذلك يقتضي أنها مسلمة متروكة لم يتعرَّض لها لإبطالها»[1]، وقول الهبطي في هذه القبيسة هو عينه المذكور في الرسالة، فقد جاء فيها: «فإذا فهمت هذا تبين لك جهل من يقول: الإله الباطل هو المقصود بالنفي في خبر اللّه بلا إلٰه إلا اللّه، وفسّر الإلٰه المذكور فيها بالأصنام وغيرها من معبودات الكفار، وقال من عظيم جهله: المراد بالنفي في الكلمة المشرّفة مبعودات الكفار من التماثيل والأصنام والأوثان وغير ذلك كالشمس والقمر والنجوم والنار . . .» وهو عينه منظوم في أرجوزته من البيت الثامن عشر إلى البيت الخامس والعشرين.

وبذلك نستطيع أن نقرّر صحة نسبة الرسالة التي بين أيدينا إلى الهبطي الكبير.

وبما أنها مذيلة بمنظومة من أربعة وأربعين بيتاً، فيكون لزاماً علينا تسليط بعض الملاحظات عليها، فنقول:

إن هذه المنظومة تكشف عن ضعف الذوق الشعري لدى الهبطي الكبير، فهي غثّة رديئة، ولا تخلو من تكلّف ظاهر في النسج، وهي على بحر الرجز، واستعمال هذا البحر يمكن أن يعتمد في الحكم على الناظم يضعف ملكته الشعرية، إذ هو أقرب إلى النثر منه إلى الشعر، ولذا سمَّوْهُ «حمار الشعراء».

هذا وإن الهبطي الكبير خرج أحياناً عن الوزن الشعري، فجاءت بعض الأبيات مضطربة، بل بدون وزن، وهي:

1 ـ الشطر الثاني من البيت السابع والعشرين.

---

(1) النبوغ المغربي: 2/ 54.

2 ـ الشطر الأول من البيت السادس والثلاثين.

3 ـ البيت الأربعون.

4 ـ الشطر الأول من البيت الواحد والأربعين.

والأرجوزة نُظِمت مزدوجة، فقد تغيرت قوافيها، وهذا جائز في بحر الرجز ما دام هذا التغير قد عوضه التصريع، أي المطابقة بين الشطرين.

وفي الختام أشير إلى أن النسخة التي اعتمدت عليها محفوظة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (2167د) ضمن مجموع من صفحة 138 إلى 141، ولا وجود لنسخة أخرى غيرها في الخزانة العامة، وخزانة القرويين بفاس، وجامع ابن يوسف بمراكش، والجامع الكبير بمكناس.

عدد سطورها يختلف من صفحة إلى أخرى، ومقياسها طولاً وعرضاً: 20,5/ 15سم.

كتب بخط مغربي وسط، ولا ذكر فيها لاسم الناسخ وتاريخ النسخ.

والملاحظ في الرسم أن الألف حذفت من كلمات مثل كلمة «الشهادة» فقد رسمت هكذا «الشهدة» بيد أنها ثبتت في كلمات أخرى مثل «الإله» فقد رسمت هكذا «الإلاه»، وكتبت الهمزة المفتوحة على الياء مثل كلمة «السآمة» فقد رسمت هكذا «السئامة» كل ذلك طبقاً للخط المغربي، وقد أثبتنا ما ذكرناه وفق الخط المشرقي لكونه هو الموافق للكتابة المعاصرة.

وقد يشطر الناسخُ الكلمة نصفين، فيكتب بعضها في آخر

السطر، وسائرها في أول السطر الموالي، مثال ذلك «معناها» في الصفحة الأولى، فقد أثبت «معنا» في آخر السطر الثاني، و«ها في أول السطر الثالث، وكلمة «الإله» في الصفحة الأولى أيضاً فقد أثبت «إلا» في آخر السطر ما قبل الأخير، و«لاه» في أول السطر الأخير من الصفحة.

وهذا وإن النسخة بها خروم في حواشيها أتت على بعض الكلمات، وفي المتن توجد مطموسات وكلمات غير واضحة فمنها ما تبيَّنْتُهُ، ومنها ما تعذّر عليّ تبيُّنُه، فأشرت إليه بنقط البت (. . .)، مع الإشارة إلى ذلك في الهوامش. كما أن هناك زلات قلم صححتها اعتماداً على السياق، أو قواعد اللغة والإملاء، أو أوزان بحر الرجز، ورمزت إلى المخطوطة بحرف «ص».

ومن الرموز المستعملة في النسخة الرمزان التاليان:

(ـِّ): وهي تعني الشدة المفتوحة بالرغم من أن علامة الخفض وضعت أسفلها.

( ∴ ) ثلاث نقط متراكبة، وقد أفادنا العلاّمة المحقّق والنّحرير المدقّق سيدي محمد المنوني ـ رضي اللّه عنه وأرضاه ـ أنها تستعمل للفصل بين الفقرتين[1].

بقي أن أشير إلى أنني رقمت المنظومة حتى يتيسر الاهتداء إلى الأبيات التي ذكرت خروجها عن وزن بحر الرجز.

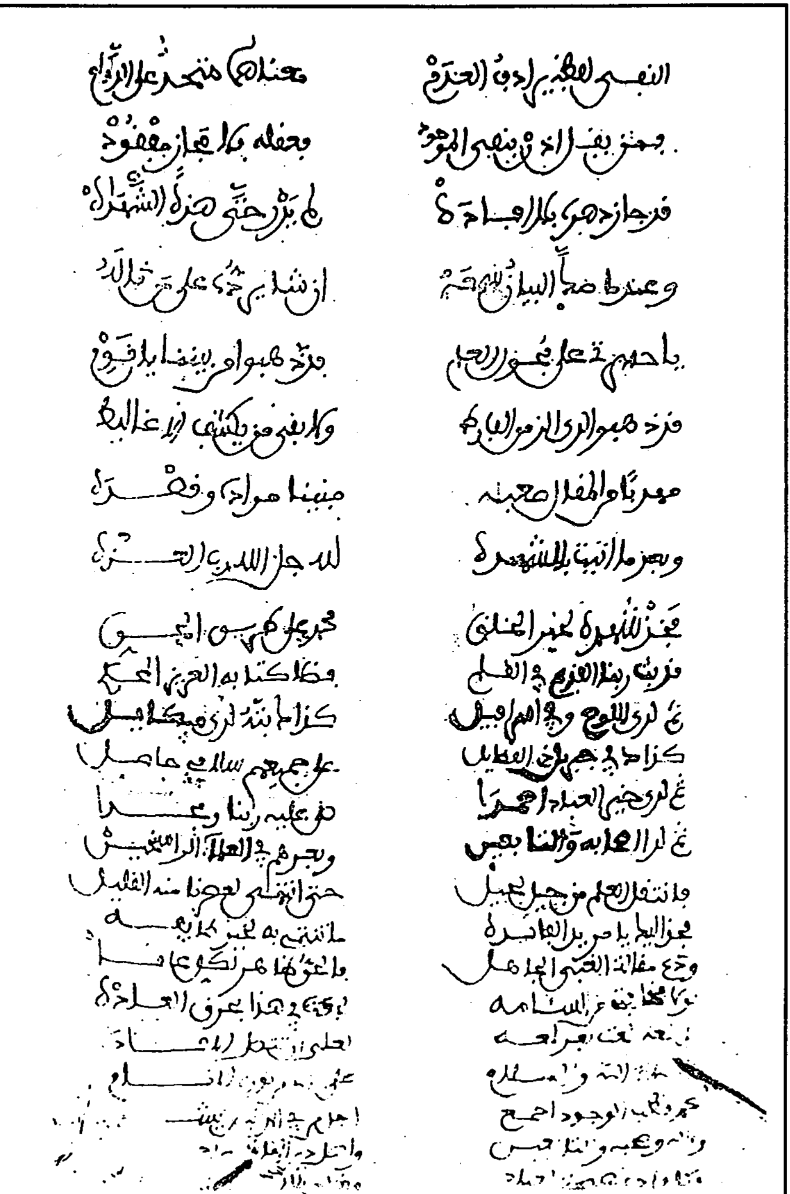
(1) انظر المصادر العربية لتاريخ المغرب 2/ 351.

بسم الله الرحمن الرحيم ... وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

للشيخ أبي محمد عبد الله الهبطي نفعنا الله به

الحمد لله الذي جعل التوحيد مبدأ أول ما ... سلفه .. وختم عمل أهله بكلمة لا
إله إلا الله محمد رسول الله الجامعة لأنواع ... على كل
شاهد ... والدليل ... بكلمة لا
إله إلا الله .. وصلى على مولانا محمد الصلاة والسلام .. وعلى آله وصحبه
الكرام .. وكل من جد في اتباعه ... وبعد
في السؤال عن معنى لا إله إلا الله .. وعن مقصود ما احتوت عليه
من نفي وإثبات وهل معنى ... في الوجود ... أو غير
ذلك من مطارح الكلام .. اعلم ... الله ...
... أنها على الجملة دون التفصيل خبر عن نفي الألوهية
عن غير الله أي ... عبارة عن ... لا ... الوجود
... والمقصود بالنفي الموجود ... وجود
... بوجه ... فلذا المقصود
... نفي المعبود ... إثبات الموجود ... الكلمة
... والثبوت والوجود بمعنى واحد ... ونفي الله للحصر
... أنها ... الله عن عموم الوهية عن جميع ما
... ووجود ... والمقصود بالألوهية
... الله عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه إليه ... لا إله
إلا هو الواجب الوجود المستحق للعبادة ... لا إله إلا الله ...
لا إله ... في ... الله ... الله ...
... ومن ... إن ... لا إله إلا الله الذي ... حق ...
في حق ... على ... استحالة ...
وإن ... الله ... موجود في ... الإله
... غير الله فإذا فهمت هذا تبين لك ...
... فالنفي في ... لا إله إلا الله والله

الصفحة الأولى من «جواب عن معنى لا إله إلا الله . . .».



النفي للطغيان [illegible] — معناه منحصر على الأنواع

[illegible] — وجعله بلا مجاز مفقود

فجاز دهري بلا اقتداء — لم يزل حتى [illegible] الشهداء

وعند طه جا البيان [illegible] — [illegible]

يا أحسن خلق على عموم [illegible] — [illegible]

[illegible] — [illegible]

[illegible] — مبينا مراده وقصده

وبعد ما أتيت بالشهرة — لله جل الله رب العزة

[illegible] لخير الخلق — [illegible]

[illegible] — [illegible] العزيز الحكيم

ثم لدى اللوح [illegible] — كذا [illegible] لدى ميكائيل

كذا [illegible] — على جميعهم سلامي [illegible]

ثم لدى خير العباد احمدا — [illegible] عليه ربنا [illegible]

ثم لدى الصحابة والتابعين — وبعدهم في العلماء الراسخين

فانتقل العلم من جيل لجيل — حتى انتهى لعصرنا منه القليل

[illegible] — [illegible]

ودع مقالة الغبي الجاهل — [illegible]

[illegible]

الصفحة الأخيرة من «جواب عن معنى لا إله إلا الله . .».

# نص الرسالة

الحمد للّه الذي جعل التوحيد أول قواعد الإسلام، وعبّر عن ذلك بكلمة «لا إله[1] إلا اللّه، محمد رسول اللّه» لجميع الأنام، فطوبى لمن بحث عن[2] معناها حتى ظفر به على التمام، والويل لمن التهى عنها يحشو بطنه كسائر الأنعام، وعلى مولانا محمد عليه[3] الصلاة والسلام، وعلى آله وصحبه وذريته الكرام، وكل من جد في إحياء دينه واستقام، وبعد:

فأيها[4] السائل عن معنى «لا إلٰه إلا اللّه»، وعن مقصود ما احتوت عليه من نفي وإثبات، وهل هي خبر عن واقع في الوجود أم هي أمر؟ أو غير ذلك من مصارف الكلام؟

اعلم هداك اللّه للتحقيق، وسلك بك سواء الطريق ـ أنها على الجملة دون التفصيل خبر عن نفي الألوهية عن غير اللّه، أي عدمها في حق غيره عدم استحالة، بحيث لا تقبل الوجود بوجه[5] ولا بحال. والمقصود بإثباتها للّه وجودها له وجود وجوب، بحيث لا تقبل العدم بوجه ولا بحال. وإنْ شئتَ قلتَ: المقصود بالنفي نفي المفقود، وبالإثبات إثبات الموجود.

(1) ص: اللّه.
(2) ص: على.
(3) غير موجودة في ص.
(4) مطموسة في ص، حيث لم يظهر منها سوى «ما».
(5) مطموسة في ص.

فالمعنى في ذلك كله واحد، والثبوت والوجود بمعنى واحد، فاستحضر ـ وفقك اللّٰه للحضور معه بقلبك[1] ـ عند النطق بها أنها خبر اللّٰه عن عدم ألوهيته عن جميع ما أصدره ووجودها له وحده لا شريك له فيها. والمقصود بالألوهية[2] غَناء اللّٰه عن كل ما سواه، وافتقار كل ما عداه إليه.

و«الإلٰه» اسم لواجب الوجود، المستحق للعبادة، وليس كذلك إلا اللّٰه. ولم يكن «الإلٰه» اسم حق إلا في حق اللّٰه، وتسمية غيره باللّٰه باطل وزور، لعدم معناه فيه.

ومن هنا تفهم أن اسم الإلٰه الذي هو اسم حق منفي في حق غير مولانا عزّ وجلّ، أي معدوم عدم استحالة كما تقدم، وأن اسم «اللّٰه» الباطل على غير معناه موجود في كل من سمي بالإلٰه والمعبودات غير اللّٰه.

فإذا فهمت هذا تبين لك جهل من يقول: الإلٰه الباطل هو المقصود بالنفي في خبر اللّٰه بـ«لا إلٰه إلا اللّٰه» وفسّر الإلٰه المذكور فيها بالأصنام وغيرها من معبودات الكفار، وقال من عظيم جهله: المراد بالنفي في الكلمة المشرّفة معبودات الكفار من التماثيل والأصنام والأوثان وغير ذلك، كالشمس والقمر والنجوم والنار، فكذب من وجهين: الوجه الأول حيث أخبر عنها أنها آلهة وليست بآلهة، والوجه الآخر حيث أخبر عنها أنها منفية وليست بمنفية، إذ المعنى هو المعدوم كما تقدم، فافهم، وباللّٰه التوفيق.

والمقصود من الشهادة[3] لمحمد بن عبد اللّٰه بن عبد المطلب أن

---

(1) الباء مطموسة في ص.
(2) ص: بالأهوية.
(3) ص: الشهدة.

تعلم أن اللّه جل جلاله بَثَّ[1] علم الرسالة وكتابه العزيز في القلم، ثم في اللوح، ثم في إسرافيل، ثم في ميكائيل، ثم في جبريل، ثم في محمد ﷺ، ثم في أصحابه رضي اللّه عنهم، ثم في التابعين، هكذا إلى أن وصل إلينا.

فمن تعلم علم دينه فقد اهتدى، ومن لم يتعلم علم دينه فقد غوى. وهذه أبيات تؤيد ما تقدم، وتزيد من فَهِم فهْماً إلى فهم، وهذا مطلعها:

1 ـ يا سائلي عن أي فرض أولى .: فلن يكون سابقاً[2] كي يتلى
2 ـ وجودُ ربِّنا عليه الإجماعْ .: مَن الأنام العقلاء قد وقعْ
3 ـ توحيده أول فرض يا فتى .: فاخْضَ إلى تحصيله! إلى متى؟!
4 ـ كي تصحَّ يا بُنَيَّ في الوجودْ .: عبادةٌ من جاهل بالمعبودْ
5 ـ انظر بعقلك الذي في قلبكَ .: لا تستمع إلى كلام غيركَ
6 ـ يظهرْ إليك الحق والبايِنُ .: وينتفي الضلال والبهتانُ
7 ـ من لم يُمَيِّزْ ربّه الموحّدْ .: من النبي المصطفى محمدْ
8 ـ ولا درى معنى الإلٰه والرسولْ .: فكُفرهُ عن الشيوخ منقولْ
9 ـ بلا خلاف بينهم في ذلكَ .: بل صرحوا بنفيه هناكَ
10 ـ سلِّمْ لأهل العلم والتحقيق .: واطلبْ على التوحيد يا صديقي[3]
11 ـ مبتهلاً أقبلْ على الشهادتينْ .: والنفي والإثبات دون مينِ
12 ـ وحقِّقِ الرسولَ والرسالهْ .: يكفيك يا هذا من الجهالهْ
13 ـ حقيقةُ الإلٰه قلْ مقصورهْ .: في فردها الموجود هِيْ محصوره

---

(1) ص: بت.
(2) طُمس في ص الحرفان «سا».
(3) ص: صديق.

14 ـ ليس لذاك الفرد في حقيقتهْ .·. ثانٍ مماثلٌ لذا هويتهْ
15 ـ وذلك الفرد هو المسمَّى .·. باللّه فاذْعَنْ واقبلنَّ العلمَ
16 ـ وما سوى ذا الفرد من حقيقتهْ .·. هو الذي انتفى بمينٍ وانتبهْ
17 ـ وفُزْ بِفَهْمِ لفظة الإلٰهِ .·. وصُمْ على المبنى ولا تُضَاهِ
18 ـ قول الذي يقول نفي الأصنامْ .·. هو المراد من خلاصة الكلامْ
19 ـ أعني بها كلمة الإخلاصِ .·. بِفَهمِها الورودُ للخلاصِ
20 ـ دخول غير الجنس في الحقيقهْ .·. يلزم من نفى هنا الحقيقه
21 ـ وذاك شرك في حقيقة الإلٰهْ .·. والشرك كفرٌ صالح المعنى تراهْ
22 ـ النفي لفظُهُ يرادف العدمْ .·. معناهما متَّحدٌ على الدوامْ
23 ـ فمن يقل إذن بنَفْي الموجودْ .·. فعقله بلا مجاز مفقودْ
24 ـ قد جاز دهره بلا إفادهْ .·. لم يَدْر حتى هذه الشهادهْ
25 ـ وعند ما صكَّ البيانُ سمعَهُ .·. إنْ ثنا يردّه على من قالَهُ
26 ـ يا حسرتي على فحول العلم .·. قد ذهبوا من بيننا يا قومي[1]
27 ـ قد ذهبوا لدى الزمان[2] الفارطْ .·. ولا بقي من يكشف الأغاليطْ
28 ـ مهذِّباً من المقالِ صعبهْ .·. مبيناً مراده وقَصْدَهْ
29 ـ وبعد ما أتيت بالشهادهْ .·. لِلَّهِ جلَّ اللَّهُ ربُّ العزهْ
30 ـ فَخُذْ شهادةً لخير الخلقِ .·. محمدٍ على طريق الحقِّ
31 ـ قد بَثَّ ربُّنا القديمُ في القلمْ .·. فضلاً كتابه العزيز المحكمْ
32 ـ ثم لدى اللوح وفي إسرافيلْ .·. كذاك بَثَّهُ[3] لدى ميكايلْ
33 ـ كذلك في جبريل ذي الفضايلْ .·. على جميعهم سلامي حاصلْ

(1) ص: قوم.
(2) ص: الزمن.
(3) ص: بته.

34 ـ ثم لدى خير العبادِ أحْمَدَا .: صلّى عليه ربُّنا ومجَّدا
35 ـ ثم لدى أصحابه والتابعينْ .: وبعدهمْ في العلماء الراسخينْ
36 ـ فانتقل العِلْمُ من جيلٍ لجيلْ .: حتى انتهى لعصرنا منه القليلْ
37 ـ فَحُزْ إليك يا مريد الفائدهْ .: ما تنتمي به لخير طائفهْ
38 ـ ودعْ مقالة الغبي الجاهلِ .: فالحقُّ ظاهر لكل عاقلِ
39 ـ لولا مخافتي من السآمهْ .: لجئتُ في هذا بخرق العادهْ
40 ـ بل لمعةٌ لمعَتْ بعد لمعهْ .: لعلّي أن تتصل الإفادهْ
41 ـ و[1] صلاة اللّه والسلامْ .: على . . .[2] من نوره الأنامْ
42 ـ محمدٍ قطبِ الوجود أجمعْ .: أجلُّ من في المذنبين يشفعْ
43 ـ وآله وصحبه والتابعينْ .: وأهل دين . . .[3] إحسانْ
44 ـ وكل من أدى نصيحة العبادْ .: وقاد . . .[4] السدادْ

(1) الواو مخرومة في ص.
(2) كلمة غير واضحة في ص.
(3) مطموسة في ص.
(4) مطموسة في ص.

## الرسالة الثالثة

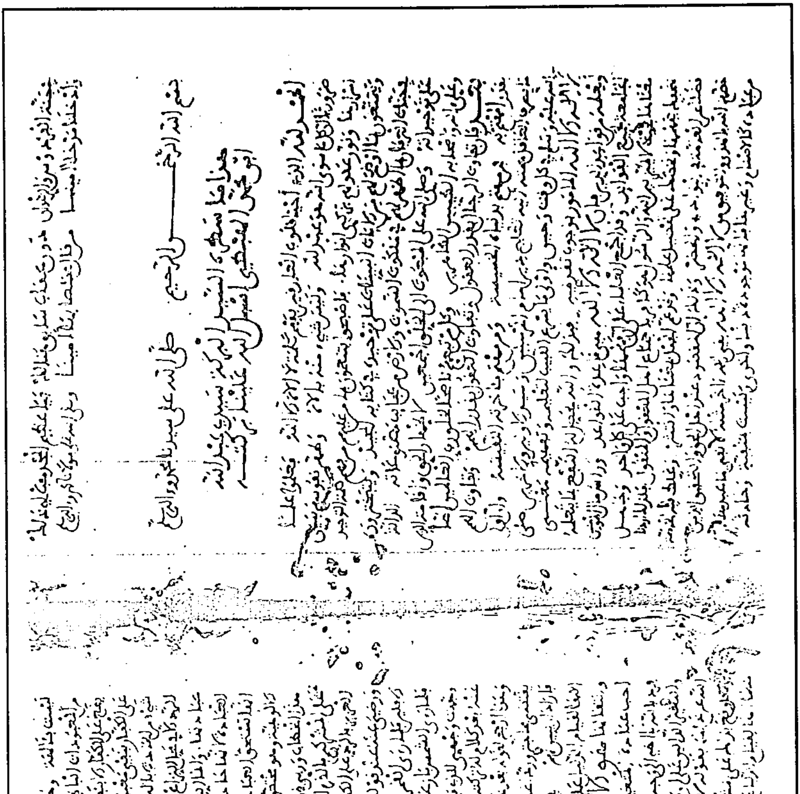
# رسالة
# أخرى في الهيللة

للإمام أبي محمد
عبد اللّه بن محمد الهبطي
المعروف بالهبطي الكبير
المتوفى عام 963هـ/ 1555م

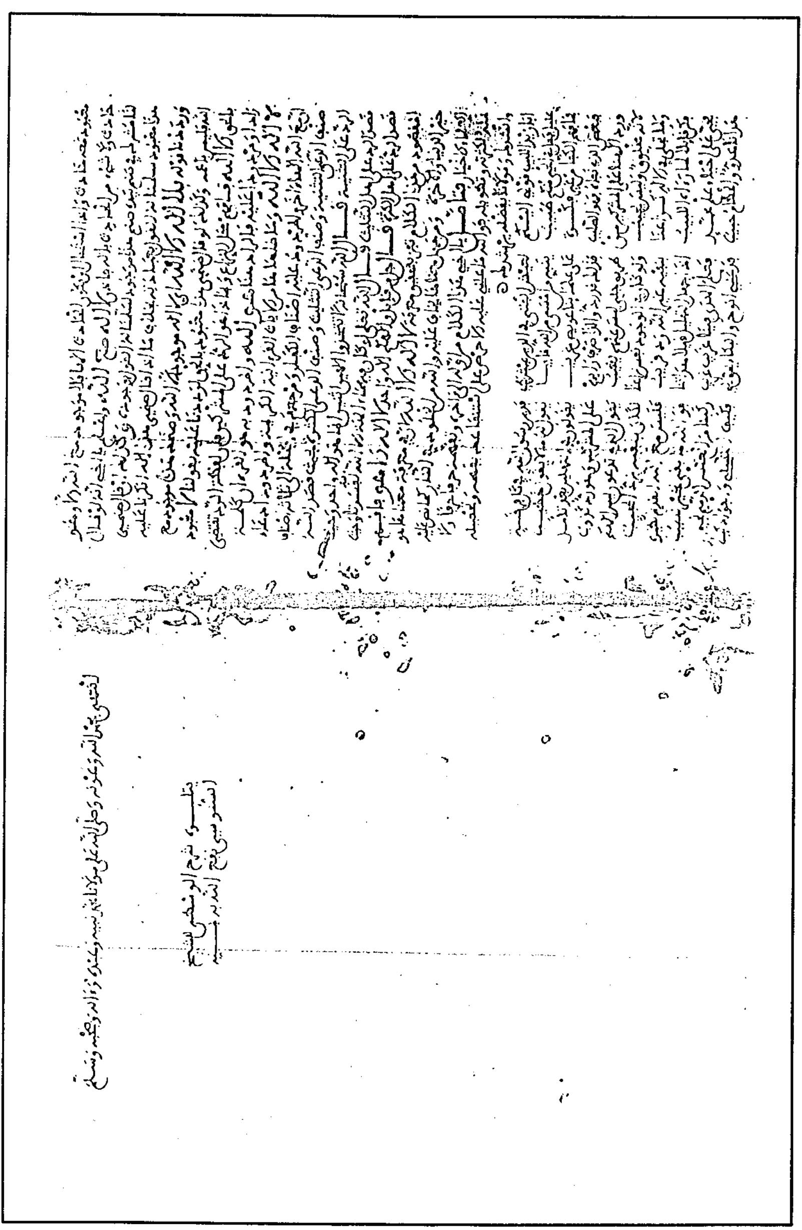
# تقديم

سنكتفي في هذه الرسالة ـ وكذا في اللواتي بعدها ـ بالوصف الشكلي للمخطوطة، ما دامت قد تكونت لدينا فكرة عامة عن الخصائص والسمات التي تميز مؤلَّفات الهبطي الكبير من خلال تقديمنا للرسالتين الأولى والثانية في هذا الكتاب. فكل الرسائل التالية أفكارها متشابهة، ومواضيعها واحدة ومتكاملة، وعبارتها متماثلة. فكلها ـ كما قلت آنفاً ـ بعضها من بعض. ثم أقول:

توجد المخطوطة التي اعتمدت عليها في الخزانة العامة بالرباط، مسجلة تحت رقم (2123د)، ضمن مجموع من صفحة 37 إلى 40. عدد سطور كل صفحة 29 سطراً، ومقياسها طولاً وعرضاً: 28/ 18سم. كتبت بخط مغربي حسن مشوب بالألوان، وهي عارية من اسم الناسخ وتاريخ النسخ.



اللوحة الأولى من «رسالة أخرى في الهيللة»



اللوحة الأخيرة من « رسالة أخرى في الهيللة »

# نص الرسالة

هذا ما سطره السيد البركة سِيدي عبد اللّٰه بن محمد الهبطي أسبل اللّٰه علينا بركته.

الحمد للّٰه الذي أحيا قلوب العارفين بفهم كلمة «لا إلٰه إلا اللّٰه»، فعلموا علماً ضرورياً أن كل ما سوى اللّٰه هو عبد اللّٰه، وليس شيء منه بإلٰه، وطهر نفوسهم ببيان أسرارها، ونور عقولهم بزَكِيِّ أنوارها، فأصبحوا يتنعمون بما مَنَّ عليهم من فهم كلمة التوحيد، ويتمتعون بما أوضح لهم من الآيات البينات على توحيده في كتابه المجيد، ويتبخترون في جنات العرفان بما أظهر لهم في ملكوت السموات والأرض من عجائب مصنوعاته الدالة على توحيداته. وصلّى اللّٰه على المبعوث إلى الخلق أجمعين لإظهار الحق وإقامة الدين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وكل من تبعهم ناصحاً لخلق رب العالمين، أما بعد:

فإن تفاوت الرجال بقدر العقول، وتفاوت العقول بقدر الهمم، وتفاوت الهمم بقدر المهتم به فمِن مهتم بدنياه الخسيسة، ومن مهتم بآخرته النفيسة، وإن أولى ما يصرف العاقل همّته إليه تعليم دين إمام المرسلين، وسيد الأولين والآخرين، ﷺ في كل وقت وحين، وأولى ما يسرع اللبيب لتعليمه وتفهيمه معنى «لا إلٰه إلا اللّٰه» المأمور بوجوب تقديمه.

فبذلك واللّٰه يحصل له النفع بما يتعلمه أو يعلّمه من قواعد الدين، فإن «لا إلٰه إلا اللّٰه» هي قاعدة القواعد، ورأس مال

المؤمنين، الجامعة لجميع الفوائد. وقد أجمع العلماء على أن فهمها واجب على كل واحد، وجاهل معناها بحيث لا يميز بين اللّه والرسول هو كافر بإجماع أهل المعقول والمنقول. فلذلك أردنا أن[1] نُتحِفَكَ بفهمها، ونحضّك على تحصيل علمها، وقد عمّ الجهل بمعناها وانتشر، وغلط فيه الخاصة فضلاً عن العامة في البوادي والحضر. وذلك أن المقصود عند أهل الحق والتحقيق، الذي خصهم اللّه بالهدى والتوفيق من «لا إلٰه إلا اللّه» بقي إلٰه آخر مثله لا نفي ما عبد مثله من عبادِهِ كالأصنام وغيرها، فإنها موجودة دنيا وأخرى، وليست بمنفية، وحادثة ليست بآلهة، وحكمها حكم جميع الحوادث.

وقد اتفق أهل زماننا على نفي الأصنام وغيرها من المعبودات الباطلة، وأطبق على ذلك خاصتهم وعامتهم. وزعم علماء الوقت أن الرد لا يقع على الكفار إلا بنفيها، وذلك باطل، ولا يقول به عاقل. فإن اللّه سبحانه في كتابه العزيز لم يردّ على الكفار بنفي معبوداتهم الباطلة، وإنما ردّ عليهم أنها ليست بآلهة، إذ هي حادثة، وليس شيء من الحادث بإلٰه. فبهذا وقع الرد على الكفار من اللّه ورسوله المختار. ولا يمكن أن يكون الرد إلا في محل النزاع، ولا نزاع بين الكفار والمؤمنين في وجود معبوداتهم الباطلة ولا في عبادتها، وإنما النزاع في استحقاقها العبادة، فالمؤمن يقول: إن الأصنام لا تستحق العبادة، لأنها حادثة، ولا شيء من الحادث بمستحق العبادة، وأما الكافر فيقول: إنها تستحق العبادة، ولذلك عبدها، وبذلك كفر. واستحقاق العبادة هو معنى الألوهية، وهو مختص باللّه شرعاً وعقلاً، واجب له، مستحيل على غيره

(1) غير موجودة في ص.

جلا وعلا. فتأمل هذا الخطاب، وربِّي يَمُنُّ بإصابة الصواب، وخُذْ رحمك اللَّه زيادة بيان، لتفهم وجه الرد على المشركين بالقرآن، بما وضعه المفسرون ـ رضي اللَّه عنهم ـ على الآيات الواقعة في كتابه العزيز بالرد على الكفار. فمن ذلك ما قاله الإمام المحقق ابن جزي في تفسيره ـ رحمه اللَّه ورضي عنه ـ عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 76 ـ 79] قال ـ رحمه اللَّه ورضي عنه ـ بعد كلام له تركته اختصاراً: «وأنه قال ذلك لقومه على وجه الرد عليهم والتوبيخ لهم، وهذا أرجح، لقوله بعد ذلك: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، ولا يتصور أن يقول ذلك وهو في الغار، لأن ذلك يقتضي محاجة ورداً على قوم، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن يبين لهم في دينهم وأن يرشدهم إلى أن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحد منها إلهاً لقيام الدليل على حدوثها، وأن الذي أحدثها ودبَّر طلوعها وغروبها وأفولها وانتقالها هو الإلٰه الحق وحده، ثم أقام عليهم الحجة: ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ أي لا أحب عبادة المتغيرين، لأن التغيير دليل على الحدوث، والحدوث ليس من صفات الإلٰه».

فرُدَّ باللَّه يا أخي إلى وجه الرد الذي بينه هذا المفسر ـ رحمه اللَّه ـ بماذا هو، وهل هو إلا الحدوث والتغيّر الدالين على أن معبوداتهم ليست بآلهة. لا إلٰه مع اللَّه جل وعلا، كما عبر اللَّه عن ذلك بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وانظر يا أخي هل لنفي المعبودات

الباطلة وجه، وهل وقع بذلك على المشركين ردّ، بل الرد بما سمعت من قوله إن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحداً منهما إلهاً لقيام الدليل على حدثهما. وهل يا أخي في العالم معبود مع اللّه غير حادث، بل كل معبود معه حادث، وإذا استحال أن يكون الحادث إلٰهاً فلا موجود مع اللّه إلاّ وهو حادث، ولا شيء من الحادث بإله. فإذن لا إلٰه مع اللّه.

واعلم يا أخي أنه لو قال لنا مشرك في صنم بيده صنم: «هذا موجود»، لسلّمنا له القول بوجوده، وكذلك إن قال: «صنمي هذا معبود»؛ سلّمنا له القول بعبادته، بخلاف ما إذا قال: «صنمي هذا إلٰه» أنكرنا عليه، ورددنا قوله بـ«لا إلٰه إلا اللّه، أي لا إلٰه موجود إلا اللّه، وصنمك هذا موجود مع اللّه، فليس بنا عَمَهٌ». وكذلك لو قال: «صنمي هذا معبود بالحق»؛ لرددنا عليه بقولنا: «لا معبود بالحق إلا اللّه».

فافهم محل النزاع، وبماذا هو الرد على المشركين، فإن لفظة «الردّ» تقتضي رادّاً ومردوداً عليه. فالراد هنا هو اللّه، والمردود به هو القرآن: كلمة «لا إلٰه إلا اللّه» وما ضاهاها من الآيات القرآنية الكريمة، والمردود ادعاء أن مع اللّه إلٰهاً آخر، والمردود عليه أصناف الكفار، ومرجعهم في الجملة إلى ثلاثة أصناف: صنف ادعى التثنية، وصنف ادعى التثليث، وصنف ادعى الكثرة، فحيث قصد اللّه الرد على التثنية قال اللّه سبحانه: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [النحل: 51]، وحيث قصد الرد على أهل التثليث قال اللّه تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: 22]، وحيث قصد الرد على أهل الكثرة قال جل من قائل: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: 163]، فافهم المقصود من هذا الكلام تفز بتحقيق معرفة «لا إلٰه إلا اللّه»، لأن

في معرفة معناها هو خير الدنيا والآخرة، ومن جهل معناها يخاف عليه والله من الخلود في النار كما نص عليه العلماء الأخيار.

فتأمل يا أخي هذا الكلام من أوله إلى آخره، وتفهّمه حرفاً حرفاً، ولا تملّهُ لكثرته وتطويله، فوالله ما علني عليه إلا حرصٌ على استنفاعك بفهمه وتحصيله، وأنشدك ومولانا بفضله يرشدك:

أبا زيد اللبيب قولي إليكم ∴ لعيش الفتى في الدين عيش طيب
فدين رسول الله في كل فرقة ∴ عليل فهل في الحي منكم طبيب
ينبه من أمسى من الله نابيا ∴ يقول له ما لا يقول خطيب
فما فهم الكفار من غير فكرة ∴ على علمائنا عويص غريب
يقولون في التحليل بعد تأمل ∴ فبعض الذي نفاه فهو الصليب
فذلك قد ردّوا لنا صرف رأيهم ∴ على المشركين وهو ردّ كذوب
ورد إلٰهنا على المشركين من ∴ طريق جلي ليس عنهم يغيب
يقول الذي تدعون ليس إلهكم ∴ لأنه مخلوق وليس يجيب
ولو كان في الوجود نفس نزاعنا ∴ لكان بنفيه يرد المجيب
ولما تجلى في الإلٰه نزاعنا ∴ بنفيه غير الله رد قريب
فليس مع الله القديم نظيره ∴ فكن قائلاً لما رآه اللبيب
إذا جهل التهليل قيلاً هُداتنا ∴ فوالله ما بقي لخير نصيب
فحيّ على إحياء علم محمد ∴ فعلم الهدى فينا غريب غريب
ركبنا من العكس الذميم نجيبا ∴ هدانا عدوّ والحطام حبيب
فدعني أنوح والبكاء يحق لي ∴ فكيف المتسلي والجواد كبيب

انتهى بحمد الله وعونه، وصلّى الله على مولانا محمد نبيه وعبده، وآله وصحبه، وسلّم.

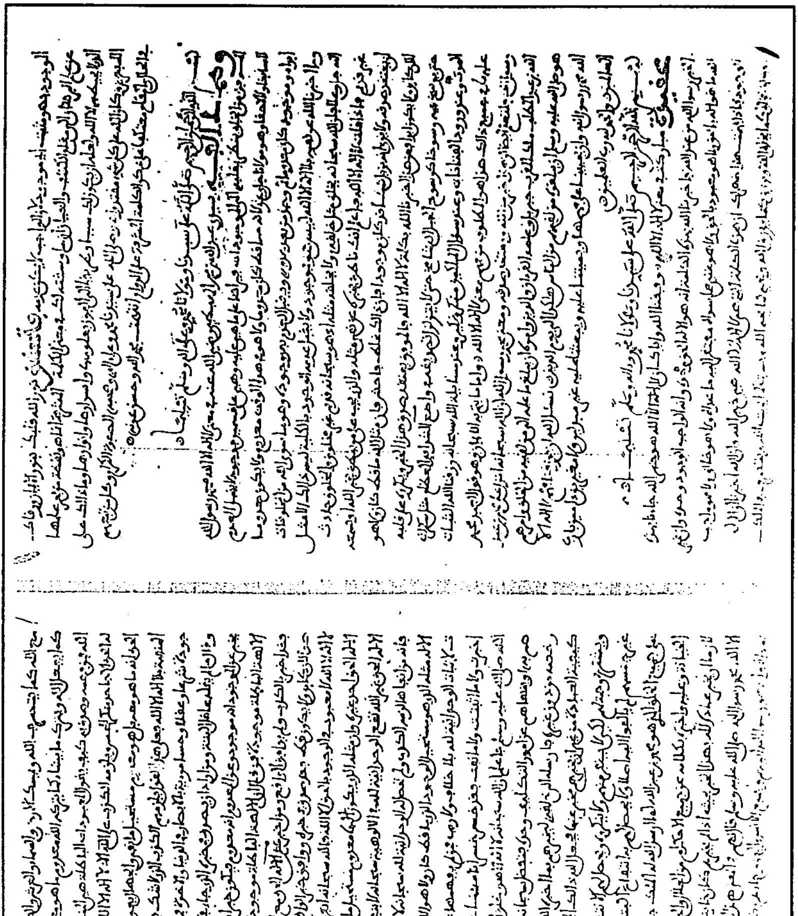
# الرسالة الرابعة

# تقييد في الهيللة

للإمام أبي محمد
عبد الله بن محمد الهبطي
المعروف بالهبطي الكبير
المتوفى عام 963 هـ/ 1555م

# تقديم

اعتمدت على مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، المسجلة تحت رقم (2076د)، ضمن مجموع في الصفحة 296. مسطرتها: 18 ومقياسها: 28/ 20سم. كتبت بخط مغربي لا بأس به، ولا ذكر فيها لاسم الناسخ وتاريخ النسخ.



مخطوطة «تقييد في الهيللة» تليها اللوحة الأولى من «عقيدة مباركة . . .».

# نص التقييد

بسم اللّه الرحمن الرحيم و[1]صلى اللّه على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليما.

ومما ألفه سيدي عبد اللّه بن محمد الهبطي رضي اللّه عنه في معنى «لا إله إلا اللّه، محمد رسول اللّه»:

الموفق من الخلق ينظر بقلبه إلى الموجودات فيراها على ما هي عليه، وهي على قسمين: موجود لا يقبل العدم لا سابقاً ولا لاحقاً، وهو مولانا جل وعز، لأنه ما قَطُّ كان معدوماً، ولا هو في هذا الوقت معدوم، ولا يكون معدوماً أبداً. وموجود كان معدوماً ثم وجد من بعد عدمه، ويقبل العدم بعد وجوده، وهو ما سوى اللّه من المخلوقات. وما أخبر اللّه عن نفيه بلا إله إلا اللّه ليس هو بموجود ولا يقبل عدمه الوجود بالكلية، ليس ذلك إلا مثل اللّه جل وعلا، فإن اللّه سبحانه يخلق مثل خلقه ولا يخلقه مثله، إذ هو سبحانه قديم غير مخلوق، والمخلوق حادث غير قديم.

فإذا قلت: «لا إله إلا اللّه» فاعلم أنك ناطق بخبره عن نفي مثله. والذي يجب على من ينطق بخبر اللّه أو يسمعه أن يعتقد صدقه، ولا يرى أنه يزيل شيئاً قد كان موجوداً، فإن لك غلط فاحش، فإن مثل اللّه ما قطّ كان، ولا هو الآن كائن، ولا يكون أبداً. فعن هذا أخبرنا اللّه بكلمة «لا إله إلا اللّه».

---

(1) الواو غير موجودة في ص.

فالموفق يعتقد صدق هذا الخبر، ويكرره على قلبه، حتى يرسخ فيه رسوخاً كرسوخ الجبل الشامخ، حتى لا يتزلزل تصديقه في واضع الشدائد العظام، مثل سكرات الموت، وعند ورود الفتانان[1]، وعند سؤال الملكين منكر ونكير، وعند مساءلة[2] اللّه سبحانه، رزقنا اللّه الثبات عليها في جميع ذلك. هذا هو المطلوب من فهم لا إله إلا اللّه.

وأما ما يتم به الإيمان؛ وهو قول العبد «محمد رسول اللّه»؛ فلتعلم أيضاً أن هذا خبر من اللّه، ويُعتقَد صدقه.

ومعنى «محمد رسول اللّه» أن اللّه سبحانه أنزل على محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب مَلَكَهُ[3] المقرّب جبريل، وعلمه القرآن والدين، وأمره أن يبلغ ما علمه إلى من لقيه من الخلق، وأمرهم هو صلى اللّه عليه وسلم أن يبلغوه من لقيهم من الناس، هكذا إلى يوم الدين.

نسأل اللّه أن يرزقنا فهم «لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه»، وأن يحيينا على فهمها، ويميتنا عليه، ويبعثنا عليه، غير مبدّلين ولا مغيرين، آمين يا رب العالمين، والحمد للّه رب العالمين.

---

(1) ص: الفتانات.
(2) ص: مسايلة.
(3) ص: ملك.

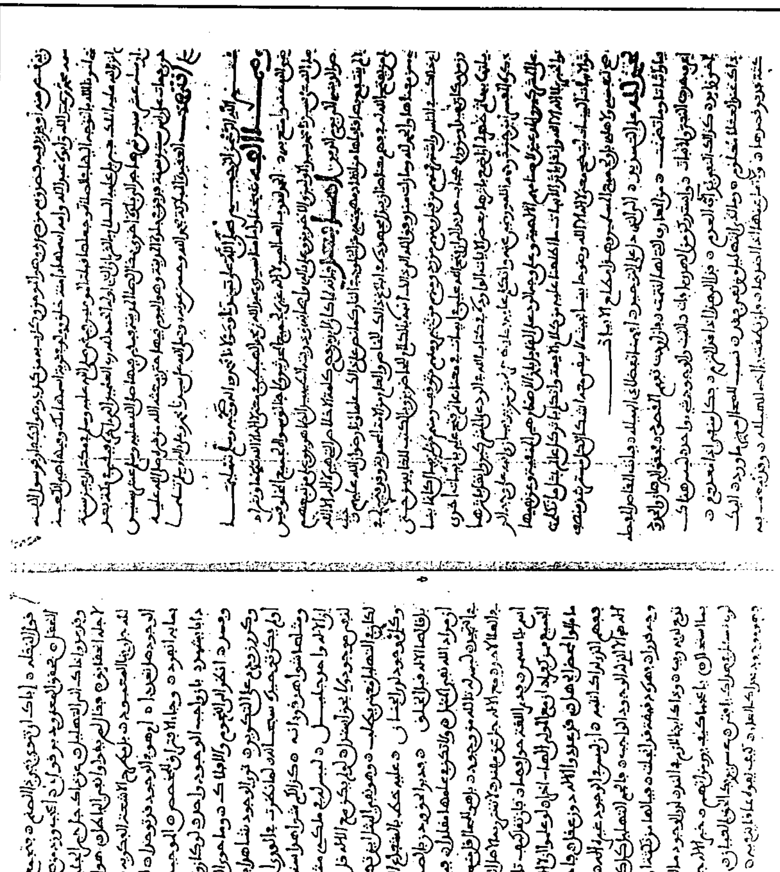
الرسالة الخامسة

# عقيدة مباركة في معنى لا إلٰه إلا اللَّه

للإمام أبي محمد
عبد اللَّه بن محمد الهبطي
المعروف بالهبطي الكبير
المتوفى عام 963 هـ/ 1555م

# تقديم

توجد المخطوطة محفوظة في الخزانة العامة بالرباط، مسجلة تحت رقم (2076د)، ضمن مجموع من صفحة 296 إلى 298. مسطرتها تختلف من صفحة إلى أخرى، ومقياسها: 28/ 20سم. كتبت بخط مغربي لا بأس به، وهي خلوٌ من اسم الناسخ وتاريخ النسخ.



**الصفحة الأخيرة من «عقيدة مباركة...»**

**تليها اللوحة الأولى من «تقييد في معنى لا إله إلا الله نظماً ونثراً»**

# نص الرسالة

بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم و[1]صلى اللّٰه على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليما.

عقيدة مباركة في معنى لا إلٰه إلا اللّٰه.

وفقنا اللّٰه وإياك.

إن «لا إلٰه إلا اللّٰه» هو خَبَرُ اللّٰه، جاءنا بهذا[2] الخبر رسول اللّٰه من عند اللّٰه، فأخبرنا اللّٰه بهذه الكلمة أنه هو الإلٰه الحق وحده، وأنه الواجب الوجود وحده، وأن غير اللّٰه ما هو إلٰه بالحق، وما هو معبود بالحق؛ ولا هو غني عما سواه مفتقر إليه ما عداه، ولا هو خالق، ولا هو واجب الوجود. فإذا فهمت هذا ظهر لك أن هذه الكلمة التي هي «لا إلٰه إلا اللّٰه» هي خبر اللّٰه، وأن اللّٰه أخبرنا أن الإله الذي يخلق كما يخلق اللّٰه، ويرزق كما يرزق اللّٰه، ويحيي كما يحيي اللّٰه، ويميت كما يميت اللّٰه، ويتصرف في الملك مع اللّٰه كما يتصرف اللّٰه، ويمسك الأرض والسماء والعرش والكرسي، كما يمسكهن اللّٰه، ويفعل ما يشاء كما يفعل اللّٰه، ويترك ما يشاء كما يتركه اللّٰه؛ معدوم ما هو معي، ولا قطّ كان معي، ولا هو الآن معي، ولا يكون قط معي[3]. هذا خبر اللّٰه، فمن فهمه وصدق به كيف يقول: المعبودات الباطلة هي المنفية

---

(1) الواو غير موجودة في ص.

(2) ص: بهذه.

(3) غير موجودة في ص.

بـ«لا إلٰه إلا اللّٰه»؟! ما يقول هذا بعد أن تبين له الحق، إلا جاحد منكر للحس»؟! ويلزمه الكذب على «لا إلٰه إلا اللّٰه» التي هي خبر اللّٰه واللّٰه يخبر بها عن نفي الإلٰه الحق أنه ما هو معه بل هو معدوم مستحيل ما نفى. والجهال يعوّدون خبر اللّٰه، ويقولون: الآلهة الباطلة هي الحنفية بـ(لا إلٰه إلا اللّٰه). فعلى هذا القول يلزمهم الكذب الذي لا شك فيه، وهو نفي الموجود، إذ الآلهة الباطلة موجودة شرعاً وعقلاً وحساً، مرئية بالأبصار في الدنيا والآخرة. فمن أخبر عنها أنها منفية فقد كذب وافترى وقال ما لم يقله عاقل البتة.

ومن أراد أن يصدق في خبره الذي جاء في «لا إلٰه إلا اللّٰه» فلا يخبر عن الموجود بأنه منفي، بل يخبر عن الموجود أنه موجود، وعن المعدوم أنه معدوم. فيكون خبراً صادقاً وحقاً لمطابقته الواقع، إذ الواقع أن الآلهة الباطلة موجودة. فمن قال إن الآلهة الباطلة موجودة فقد وافق الواقع، ومن قال فيها إنها منفية فقد أخبر بالكذب ولم يوافق الواقع. ومن أخبر عن الإلٰه الحق مع اللّٰه أنه معدوم منفي مستحيل، ما قَطُّ كان ولا هو الآن كائن ولا يكون قطّ، فقد صدق في خبره، ووافق خبر الواقع بحمداللّٰه.

فإذا فهمت هذا فنقول في معنى «لا إلٰه إلا اللّٰه»: لا معبود في الوجود بالحق إلا اللّٰه. فاللّٰه سبحانه انفرد باسم «الإلٰه» وحده، بحيث لم يشارك في اسم «الإلٰه الحق» أحد غيره، وأن مثله الذي يكون إلٰهاً معدومٌ مستحيل، ما هو معه، ولا يكون قط.

وبنفي الإلٰه الحق غير اللّٰه تقع الوحدانية للّٰه في الألوهية سبحانه، لا بنفي الأصنام أو غيرها من المعبودات الباطلة. فإنه من نفاها[1]

---

(1) ص: أنفاها.

لزمه الكذب، ولم تحصل له الوحدانية للّه سبحانه، لأنه ما تحصل له الوحدانية للّه سبحانه إلا بنفي الإلٰه مثله، الذي هو مستحيل الوجود، الذي ما قطّ كان، ولا هو الآن كائن، ولا يكون قط.

وكلمة «لا إلٰه إلا اللّه» جاءت لإثبات الوحدانية للّه بلا خلاف ولا ريب، فمن لم يفهمها على ما هي به، ولم يعرف لِمَ[1] جاءت، ولم يدع عن ما أخبرت، ولا ما أثبتت، ولا ما نفت، فقد خسر خسراناً مبيناً في الدنيا والآخرة.

وأما معنى «محمد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم»، فاعلم أن اللّه سبحانه لا إلٰه إلا هو خَلَقَ الخَلْقَ وحده، فاستحق أن يعبدوه بما يأمرهم به أو ينهاهم عن أمور التكليف وحده، فتفضل سبحانه على عباده بأن فضل ما شاء منهم على غيره، وخصه من دون غيره، فأرسله إلى خلقه ليخبرهم بما أخبره اللّه في جميع الأحكام، لأنه محال أن يتوصلوا إلى كيفية العبادة من غير أن يخبرهم مخبر عنها. فجعل اللّه ذلك المخبر من جنسهم، يأكل ويشرب ويتزوج ويبيع ويشتري، رحمةً لهم، لكي لا ينفر منهم، ولا ينكروه، ويحصل لهم الانتفاع به في جميعِ ما يخبرهم به، وإلا فلو كان من غير جنسهم لم يألفوا إليه أصلاً، ولا يحصل لهم به انتفاع السبتة.

ثم إن هذا الرسول المختار من جميع الخلق، المفضل على جميع الخلق، الذي هو محمد بن عبد اللّه، لما أرسل اللّه له الملك جبريل بكلامه الحق، الذي يستحيل فيه الكذب والخيانة وعليه، وأخبره بكلامه عن جميع الأحكام من الحلال والحرام

(1) ص: لما.

والمكروه والمندوب والمباح. وأمره أمراً لازماً أن يخبر عباد اللّه بهذا الخبر، بحيث إذا لم يخبرهم كان خائناً، فأخبرهم بما أخبره به اللّه.

فأول ذلك «لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم»، قال لهم في معنى[1]، هذا الخبر: اللّه إله بالحق وحده، لا يستحق العبادة أحد سواه، وأنه هو رسول اللّه إليهم ولجميع الإنس والجن. وجاءهم بكلام اللّه، وبه كان يأمرهم وينهاهم من غير أن ينقص منه أو يزيد فيه، فصدق به من صدق ـ وهو المؤمن ـ، وكذب به من كذب ـ وهو الكافر[2] ـ.

فرسول اللّه اسمه محمد بن عبد اللّه، وأبوه عبد اللّه، وأمه اسمها آمنة. خُلِق ووُلِد في قرية اسمها مكة، وفيها الكعبة[3] التي أمرنا اللّه بالتوجه إليها في الصلاة، وجعلها قبلة المؤمنين. فبقي صلى اللّه عليه وسلم في مكة أربعين سنة، ثم أنزل اللّه عليه الملك جبريل عليه السلام بالقرآن الذي أوله «الحمدللّه رب العالمين» إلى آخره. فبقي في مكة ـ بعد أن أرسله ـ عشر سنين، ثم هاجر إلى بلدة أخرى يقال لها المدينة، فبقي فيها صلى اللّه عليه وسلم عشر سنين أخرى. فمات على رأس ستين سنة، فدفن في بلدة المدينة، وهو اليوم فيها حتى يبعثه اللّه من قبره صلى اللّه عليه وسلم.

انتهت العقيدة المباركة بحمداللّه وحسن عونه، وصلى اللّه على سيدنا محمد، وعلى آله وسلم تسليماً.

---

(1) ص: المعنى.

(2) ص: الكفار.

(3) ص: هي الكعبة.

## الرسالة السادسة

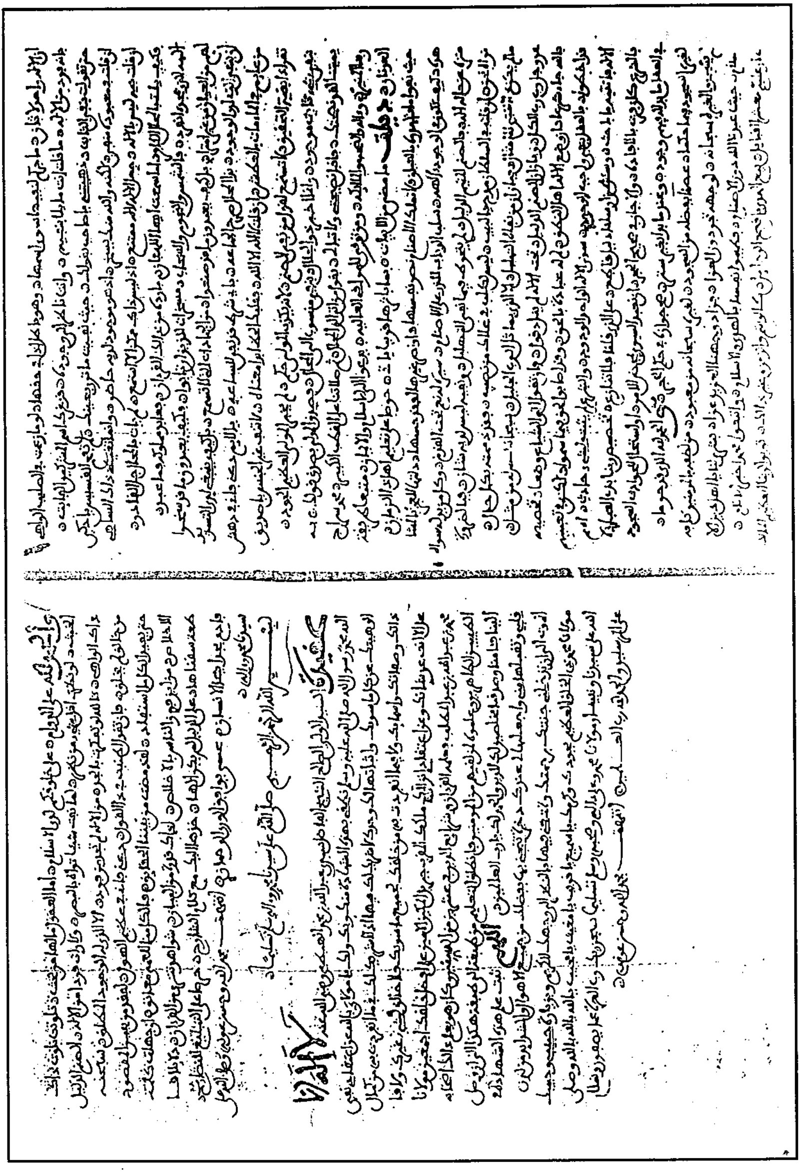
# تقييد في معنى لا إلٰـه إلا اللَّه نظماً ونثراً

للإمام أبي محمد
عبد اللَّه بن محمد الهبطي
المعروف بالهبطي الكبير
المتوفى عام 963هـ/ 1555م

# تقديم

يكشف عنوان هذا التقييد عن مزج بين شكلين من أشكال التعبير: النثر والنظم. فهي قد استهلت بالكلام على معنى الهليلة نثراً، ثم أعقبته بتفصيل هذا الكلام نظماً، أي بأرجوزة عدد أبياتها 136. وما قلنا لامي المنظومة التي ذيل بها الرسالة الثانية يجري على هذه الأرجوزة، فهي عثة، ونسجها ضعيف، وأحياناً انفلتت عن أوزان بحر الرجز (الأبيات 17، 19، 22، 32، 79، 96، 110، 112، 114، 120). فهي تعبِّر عن الانحطاط الأدبي في القرن العاشر، ولكن ينبغي أن نعترف أن نظم الأراجيز كان وسيلة مهمة في اقتناء المعرفة وتوسيع دائرة التعليم وتبسيط مواضيع العلوم.

والمخطوطة التي اعتمدت عليها هي الموجودة في الخزانة العامة بالرباط، مسجلة تحت رقم (2076د)، ضمن مجموع من صفحة 298 إلى 301. مسطرتها مختلفة، ومقياسها: 28/ 20سم. مكتوبة بخط مغربي لا بأس به، ورؤوس الفقر بالخط العريض. لم يُذكَر فيها اسم الناسخ وتاريخ النسخ.



**اللوحة الأخيرة من «تقييد في معنى**
**لا إله إلا الله نظماً ونثراً» تليها مخطوطة «عقيدة وجيزة»**

# نص التقييد

بسم اللّه الرحمٰن الرحيم و[1] صلى اللّه على سيدنا ومولانا محمد، وآله وصحبه، وسلم تسليما.

ومما ألفه شيخنا وإمامنا سيدي عبد اللّه بن محمد الهبطي في معنى «لا إله إلا اللّه» نظماً ونثراً، رضي اللّه عنه وأمتع به:

الحمدللّه رب العالمين، لا إلٰه غيره لجميع المُحْدَثين، ولا خالق سواه لجميع المخلوقين، وصلى اللّه على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وأصحابه وذريته الطيبين الطاهرين، وعلى مَن تبعهم ناصراً لدينه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنه لما كان لا بد من فهم كلمة الإخلاص التي هي «لا إلٰه إلا اللّه» وإلا لم ينتفع بها قائلها من إنقاذ مهجته من الخلود في النار، كما نص على ذلك علماؤنا رضوان اللّه عليهم، وجب على من يفتح اللّه له في فهم معناها أن يبذل مجهوده في إبلاغ ذلك للخاص والعام من الأمة المحمدية، وقد فتح لي في شيء من معناها والحمدللّه، وما زلت منذ وفق اللّه إلى ذلك أنبه بالكلام للحاضرين، وبالكتب للغائبين، حتى ذاع ذلك في الناس واشتهر. فمنهم من قبِلَ، ومنهم من رَدَّ، ومنهم من تحيّر، ومنهم من توقّف، ومنهم من لم يبالِ كأنما ينادون من مكان بعيد أو من وراء حجابِ حديدٍ، إلى أن فتح اللّه علي في أبيات في معناها، ثم فتح

---

(1) الواو غير موجودة في ص.

علي بأبيات أخرى ذيلتها بها، ثم ظهر لي أن أضع بإثرها بعض الآيات الواردة في كتاب اللّه في الرد على المشركين، وأنقل بإثرها ما ذكره المفسر أن ابن جزي[1] ـ رحمه اللّه ورضي عنه ـ وأتكلم عليه بما يظهر لي من مزيد بيان، وأنبه على وجه الرد على المشركين والمُدَّعين لأصنامهم الإلهية، وعلى وجه الرد على القائل بأن الأصنام هي المنفية، وعن نفيها هو الخبر بـ«لا إله إلا اللّه» وأنقل بإثر الأبيات ما اطلعنا عليه من كلام الأئمة، وأتكلم بإثر كل عالم بمثل ما تكلمت إثر الأبيات البينات، ليتضح معنى «لا إله إلا اللّه» وضوحاً بيِّناً، بحيث لا يبقى معه إشكال لكل مسترشد منصف ناصح لنفسه ولأهله، بل ولجميع المسلمين، وهذا مطلع الأبيات:

الحمد للّه على التسديدِ .: إلى الذي دلّ على التوحيدِ
أفهمنا تفضّلاً ذي الهيللهْ .: فبانتِ المقاصدُ المُفضّلهْ
نفياً وإثباتاً وما تضمنتْ .: مِنَ المعارِفِ التي لها انْتَقَتْ
فإن أردتَ تَفْهَمَ المقصودَ .: فحقِّقِ البرهان والحُدودَ
اَعْرِفْ ـ هُديتَ ـ النفي والإثباتَ .: واسْتَدْرِكَنْ مِنَ الهدى ما فاتَ
الثبْتُ والوجودُ شيءٌ واحدُ .: ليس هناكَ ـ يا أخي ـ زائدُ
كذلك النّفْيُ يرادفُ العَدَمْ .: فَذَا إلى هٰذا إذاً قَدِ التزَمْ
فكلُّ منفيٍّ إذنْ معدومُ .: وذاكَ عندَ العُقلاءِ معلومْ
وما لدى التهليل مِنْ نَفْيٍ فقد .: نَسَبَ لِلْمُحال ميِّزْ ما وردْ
إليكَ نكتة تَدَبَّرْ قصْدها .: ولا تَمِلْ عنها إذاً لضدّها

---

(1) أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، المتوفى عام 741هـ/ 1340م. من أعظم مؤلفاته تفسيره الموسوم بـ«التسهيل لعلوم التنزيل» (انظر ترجمته في نفح الطيب: 5/ 514 ـ 525).

فإن نطقت ـ يا أخي ـ للهيللهْ .:. وقد تبغتَ فيه قول النقلهْ
إياك أن تنوِيَ نَفْيَ ذا الصّنمْ .:. فتَجمعَ الوجودَ فيه والعدمْ
وذاك قُلْ: مقنعٌ في العقلِ .:. فحقِّق المعنى ودبِّرْ قولِ
اعجبْ وزِدْ من هؤلاء عَجَبَا .:. حيث نفوا ما للوجودِ صَحِبَا
وقد عَزَوْا ذاك إلى التهليلِ .:. عن ذاك جَلَّ خبرُ الجليلِ
وخبرُ المولى العظيم الصادقْ .:. لم ينقلبْ لأجله الحقائقْ
فقال لمْ يقولوا نفي الباطلِ .:. هو المراد عند كلِّ عاقلِ
فما نفوا هو الذي يعودُ .:. للَّه جلَّ ربُّنا المعبودُ
بل مطْرحُ الأشعّة الفكريهْ .:. حيث انبعاث دلائلاً قطعيهْ
في واجب الوجود هل تعدّدا .:. أمْ هُوَ في الوجود قد توحّدا
لو كان واجبُ الوجود ذا عددْ .:. لكان مختصّاً بما به انفردْ
وجاء الافتراق للمخصّصِ .:. الموجب الحدوثَ خذْ تنصُّصِ
بَلِ انْتظام الكون دأباً يشهدُ .:. بأنّ واجب الوجود واحدُ
لو كان واجبُ الوجودِ ذا عددْ .:. لانْخرمَ النَّظْمُ العجيبُ وفَسَدْ
انظر إلى النجوم والأفلاكِ .:. وما حوى الوجودُ من أملاكِ
وما لها في الكون من تسخيرِ .:. وكَرِّرَنْ ودُمْ على التكريرِ
ترى الوجود شاهداً بالحالِ .:. على وجود وحدة الفِعالِ
أوْلم يكنْ توحيده سبحانهُ .:. لما نظرتَ في الورى إتقانهُ
قد شهِدتْ شواهدٌ وجودَهُ .:. ومثلها شواهدٌ قربانهُ
كذلكمْ شواهدٌ شنيَّهْ .:. وزِدْ لها شواهداً إجماعِيَهْ
إنّ الإلٰه واحدٌ جليلُ .:. ليس له في ملكه مثيلُ
فَلْتَنفِ أنت مثله ولا تَمِلْ .:. لنفيِ موجودٍ ولا بحق استدلْ
لو لم يكن مَعَ الإلٰه قُلْ صنمْ .:. وكلّ معبود سواه ذو عدمْ

لكان في التهليل معنًى يُطْلَبُ .·. وهُو نفيُ المِثْلِ، أين تهربُ؟!
انظر إلى القصور والأغصانِ .·. وكلُّ موجود لدى الجنانِ
عليه خطّ بالشفاع الكلمهْ .·. وليس ثَمَّ يا بنيَّ آلهَهْ
بل قالها الإلٰه قبْل الخلقِ .·. فدبِّر الحقَّ ودِنْ بالصّدقِ
فذاك كافٍ في دليل العقلِ .·. أنّ مرادَ اللّه نفيُ المِثْلِ
ولا تكن في علْمِها مقلِّداً .·. فيصبحَ الفؤادُ منكَ جامدا
كذا شريكُ اللّه في التمجيدِ .·. ليس له تاللّه مِنْ وجودِ
بلْ هُوَ للمحال قلْ منسوبُ .·. إذِ الشريك مَنْ له نصيبُ
ولا نصيبَ في العلا لأحدِ .·. مع الإلٰه جل عن مُفنّدِ
لا تغتَرِرْ بما لأهلِ الشركِ .·. من التّسمّي قُلْ بمحْضِ الإفكِ
لأنّها اسْمٌ بلا مُسمّى .·. فدبِّرِ اللّغةَ حَوْلَ فَهْمَا
فإن تقلْ كيف تأتى الرّدُّ .·. بها على القوم الذين ارتدُّوا
فشبهةُ الجميع ممّن كَفَرَا .·. أنَّ مع المولى إلٰهاً آخرا
لو علموا أنّ الإلٰه واحدٌ .·. ما اعتقدوا شيئاً منَ الفاسدِ
وعندما قالوا لمحْضِ الجهلِ .·. قد عَدّدوا الإلٰه دون عقلِ
فأخبر المولى بلا بهتانِ .·. أنْ ليس ثَمَّ من إلٰه ثانِ
فَفَهِم الذي لذاك انتبهَ .·. أن ليس في الوجود غيره إلٰهْ
وفَاهَ بالتهليل أعني فَاهُ .·. معتقداً ليس إذاً إلٰهُ
إلا الذي له الوجود الواجبْ .·. فألْجِم التهليلَ كلَّ كاذبْ
وواجب الوجود قل تقرّرا .·. توحيدُهُ فكلّ وجه قدّرا
فهذه دقيقةٌ قد انجلتْ .·. فيا لها من نُكْتةٍ إن فُهِمَتْ
فخذْ إليكَ واغسلنَّ القلبَ .·. بها ولا تدعْ لديه رَيْبَ
وذاك أيضاً لازمٌ في النّدِّ .·. لدى الوجودِ ما له من فَرْدِ

عــن نــده وضــده تــعــالــى .'. ليس لـه وصفٌ بما استحالَ
يا عَجَباً كيف يرى من اتّهمْ .'. خُبْرَ الإلٰه جاء في نفي الصنمْ
وَهْـوَ يـراه بـالـعـيـان ثـابـتـاً .'. لـربِّ نـسأَلْ في هُداك يا فَتَى
عسى يريكَ الحقَّ بالعيانِ .'. وتـتـركَ الـجـدال بـالـبـهـتـانِ
وكـلُّ مـا قـد عـبـد الـكـفـارُ .'. فَـهُـوَ مـوجـود عـداك الـعـارُ
كـيـف يـفـوه عـاقـلٌ بـنـفـيـهِ .'. وقــد رآه مــن كــلام ربّــهِ
قـل لـلـذي نَـفَـى إذاً إثـنـانِ .'. إنّ الإلٰــه واحــدٌ لا ثــانِ
ما حبركمْ لنفيها دُونَ[1] اسمِهَا .'. وهُـو بـاطـل إذن فـي حـقّـهـا
لو ما زعمْتَ في الصليب الواهي .'. بــأنّــه فــرْدٌ مــنَ الإلٰــهِ
مـا قـلـتَ أنـتَ مـائـلاً بـنـفـيـهِ .'. وأنــت نــاظــرٌ إلــى وجــودِهِ
قد غرّكَ اسمُ المشركين الفائتْ .'. حتى تقوّلت بنفي الثابتْ
ذميتني يا صاحبي بقولكَ .'. حيث نفيتَ ما ترى بعينكَ
لـم تـفـحـم القِسّيس يا ذكيُّ .'. إن قلتَ في معبوده: منفيُّ
لـكـنـه والـلّٰـه مـنـك يـسـخـرُ .'. إذ هُـو مـوجـود لـديـه حـاضـرُ
وإنـمـا تُـغِـيـظَ ذاك الـسـاهـي .'. إن قـلـتَ فـيـه لـيـس بـالإلٰـهِ
جَـهْـلُ الإلٰـهِ لإلٰـهِ مـمـتـنـعْ .'. إذ ليس ذاك ممكنٌ ألا استمعْ!
لم يأتِ بالمحال جَلَّ القادرُ .'. فكيف يأتي بالمحال الكافرُ
أمـا سـمـعـتَ أيـهـا الـلـهـفـانُ .'. مـا ردّهُ مـن ذلـك الـقـرآنُ
فـعـابـدٌ مـمـلـوكُـهُ فـمـا عَـبَـدْ .'. إلٰـهُ الـذي بـمـجْـدِه انـفـردْ
فالشمس والنجوم والسحابُ .'. مـسـخـراتٌ لـلـذيـن ارتـابـوا
فكيف يعبدون ما قد سخّرا .'. لهمْ منَ العيان من غيرِ امترا

(1) ص: بدون.

بل كيف يعبدون ما قد صنعوا .:. من الجمادات التي لا تسمعُ
بل كيف ينبغي لدى التسديدِ .:. أن يُنفَى الذي لدى الوجودِ
بذا المحال صرَّحَ الجماعهْ .:. بأيِّ شرطٍ قد نفى للساعهْ
يا لائم دعني فإني في دَهَشْ .:. من عائم في الماء مات بالعطشْ
إن قلتَ لا إلٰه إلا اللَّهُ .:. فقلبكَ الْحَظْ أبَداً معناهُ
لا تنفِ غير الجنسِ يا صديقِ .:. تقرْ إذنْ بنيَّةِ التحقيقِ
لا تستمعْ لقول من نفى الصَّنَمْ .:. لأنه بِكَذِبِ المولى حَكَمْ
لم يُخْبِرِ المولى العظيمُ الجودِ .:. بنفي شيء ثابتٍ موجودِ
وإنما أخبر ذو الجلالِ .:. بنَفْي منسوبٍ إلى المحالِ
فَصَدِّقِ المولى بِصِدْق قولكَ .:. به يميتُنا لقد نصحتكَ
فاقبلْ نصيحتي ولا تبالي .:. بقول مَنْ أنني إلى المحالِ
ثمّ صلاتُنا على القطب الكبيرْ .:. محمدٍ سراجِ ربّنا المُنيرْ
وآلِهِ والصحب والملائكهْ .:. ومن ترقّى للمراقي العاليهْ
يدعو إلى الإسلام والإيمانِ .:. مُتَّبعاً طريقةَ العدنانِ
ذيّلتُ ما مضى منَ الأبياتِ .:. بما بإثرها قريباً يأتي
حِرْصاً على تعليم أهل ذا الزمانْ .:. حيث نفوا ما شاهدوه بالعيانْ
لا تملكُ الأصنامُ نصْرَ نفسِها .:. أو نصرَ غيرها لفقدِ حِسِّها
ذِلّتها للعجز بالمشاهدهْ .:. كيف تكون في الوجودِ آلههْ
سَلْبُ الذّبابِ للّذي على الأصنامْ .:. سيره له نعم تحت القدمْ
وكلُّ مَن يَدُلُّهُ سواهُ .:. منزّهٌ عن حاله إلٰهُ
فالصنمُ القيّمُ الدليلَ .:. لم ينخرطْ فيما نفى التهليلَ
ونفيُهُ ليس لديه شأنُ .:. فيالضرورة نراهُ نحنُ
إن قلتَ في السلطان مدحٌ يالبيب .:. ليس لطلْبِ في غلاك من نصيبِ

فـقـد ذمـمـتـه بـكـل حـالِ .:. ما لم يكن ذا النفيُّ للأمثالِ
فبان أنَّ من نفاه التهليلْ .:. إلا الذي يماثلُ الربَّ الجليلْ
سبحانه ليس له من مِثْلِ .:. عزّ وجلَّ ربُّ ربِّ الكلِّ
وبان أنّ الصنم الدليلَ .:. تحت الإله لم ينل دقولَ[1]
فإن تقلْ[2] أتى الشياعُ وضعا .:. تخصيصهُ باللّه جاء شرعا
إن وضع الإله أهل النطقِ .:. لم له عبادة بالحقِّ
وقد أصابوا الحق فيما سَمَّوْا .:. لكنَّ في تعيينهمْ قد أخطَوْا
بالعقل يُنفَى واجب الوجودِ .:. سوى الإلٰهِ الواحدِ الودودِ
والشرعُ لم يُثبِت لشيء حادثْ .:. اسم الإله فانتبهْ يا باحثْ
واسألْ مَنْ أرسلنا دليل قاطعْ .:. على الذي قلنا فلا تنازعْ
تخصيص ربنا بذي العباده .:. بالشرع كان فزت بالإفاده
وإلاّ جاز في صحيح الحجرِ .:. أن نعبد السِّوَى بمخضِ الأمرِ
أوِ استحال للحوادث السجودْ .:. في العقل ما بدا له فيهمْ وجودْ
وعندما بدا بغيرسترِ .:. صحّ جوازُه في حكم الحجرِ
والحمد للّه الذي قد حَرَّمَا .:. لغيره السجود فيما حَكَمَا
عَصَمَنَا بفضله من السجودْ .:. لغيره؛ سبحانه من معبودْ
من لطفه بالمؤمنين كافهْ .:. لم يسجدوا لغيره سبحانهْ
لوجهه تُجرِّدون العِزَّا .:. فزاد وجْهَنا العزيزَ عِزَّا

(1) الدَّقَل هو الرديء من التمر، وهو أيضاً خشبة طويلة تشد في وسط السفينة يُمدُّ عليها الشراع (انظر لسان العرب، مادة «دقل»، 11/ 246) ولعل المعنى الثاني هو مقصود الهبطي الكبير، فيكون شبه الصنم ـ ولا دليل على ألوهيته ـ بالسفينة بلا خشبة تشدّ الشراع فيها.

(2) ص: تقول.

بشرى لنا يا أهل دين الإسلامْ .·. حيث عبدْنَا اللَّه دون الأصنامْ
فطيبوا نفساً بالهدى والإسلامْ .·. واتبعوا محمداً خيرَ الأنامْ
عار عليكمْ معْشرَ القبائلِ .·. بيعَ الهدى بأقبح الرذائلِ
كالوشم والزفْن[1] وغير ذلكْ .·. توبوا لربِّنا العظيم المالكْ
والحمد للَّه على الدوامِ .·. على خلوقكمْ لدى الإسلام
أمّا العقولُ ما لها من بحثِ .·. تلوثتْ بلوْثِ ذاك الخبثِ
لو نظرَتْ أقلَّ شيء من نظرْ .·. لَمَا نفتْ شيئاً تراه بالبصرْ
ولا رأتْ فرداً من الإلٰهِ .·. الصنم الدليل ذاك الواهي
تاللَّه لو تفكّرتْ بالحدِّ .·. من الإلٰه لم تجدْ من فردِ
إلاّ الذي له الوجودُ المطلقْ .·. سبحانه مِنْ خالقٍ لم يُخْلَقْ
فإن تَقُلْ[2] أصبْتَ في ذا القولِ .·. دعني فإني في عظيم الهولِ
لفَقْدِ مَنْ يُبَيِّنُ المقصودَ .·. حتى يُفيدَ الكلّ ما استفادَ
لقد مضتْ من بيننا الحقائقُ .·. فالكلُّ منّا للعمى معانقُ
إن جُهِلَتْ كلمةُ الإخلاصِ .·. مِن أين فَوْزُ الناس بالإخلاصِ
لذاك قدرةٌ من البيانِ .·. شواهدٌ تَتْرَى مِن القرآنِ
دلائلاً قاطعة سقناها .·. على الدليل لم يكنْ إلٰها
خُذْهَا إليك مَعْ كلام الشارح .·. حرْصاً على التبليغ للنّصائِح
فادْعُ بِجِدٍّ أيها الإنسانُ .·. عسى يوافقُ الورى الرحمٰنُ

انتهت بحمد اللَّه وحسن عونه، وصلّى اللَّه على سيّدنا محمد وآله

(1) الزفْن: الرقص (انظر لسان العرب: مادة «زفن»، 13/ 192).
(2) ص: تقول.

## الرسالة السابعة

# عقيدة وجيزة

للإمام أبي محمد
عبد الله بن محمد الهبطي
المعروف بالهبطي الكبير
المتوفى عام 963هـ/ 1555م

# تقديم

المخطوطة محفوظة في الخزانة العامة بالرباط، مسجلة برقم (2076د)، ضمن مجموع في الصفحة 301. مسطرتها 13، ومقياسها: 28/ 20سم. كتبت بخط مغربي لا بأس به، ورؤوس الفقر بالخط العريض. وهي كالرسائل التي قبلها الحاملة لنفس الرقم ـ عارية من اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

# نص الرسالة

عقيدة السيد الولي الصالح الشيخ الفاضل سيدي عبد اللّه بن محمد الهبطي رضي اللّه عنه.

«لا إلٰه إلا اللّه محمد رسول اللّه ﷺ»، نطقي بهذه الشهادة منك وبك ولك، يا مولي، يا اللّه، عن اعتقادي نفي ألوهيتك عن كل ما سواك، وإثباتها لك وحدك، لا شريك لك فيها، إذ لا شريك لك في ما انفردتَ به من كمال ذاتك وصفاتك وأسمائك، ولا فيما انفردتَ به من خلقك لجميع ما سواك. فلا خالق لشيء غيرك، ولا فاعل إلا أنت عزّ شأنك. وعن اعتقادي إنزالك مَلَكَك المقرب جبريل المَكِين الأمين على أفضل خلقك أجمعين، مولانا محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب. فعلّمه القرآن وشرائع الدين في عشرين من السنين، وكان هو يُعلِّم ذلك لأصحابه الطيبين الطاهرين، وعلّموه لمن لقيهم من المؤمنين، فانطلق التعليم من طبقة إلى طبقة، هكذا إلى أن وصل إلينا، فآمنا وصدقنا، مخلصين لك الدين، والحمد لك يا رب العالمين.

اللهم ثبت علم هذه الشهادة في قلبي، وتقبلها منّي، واجعلها لي عندك ذخيرة تنجّني بها بفضلك من جميع الأهوال والشدائد، من لدن الموت إلى أن تدخلني جنتك برحمتك، وتمتعني فيها بالنظر إلى وجهك الكريم، وبزيارة حبيبي وحبيبك مولانا محمد

ذي الخلق العظيم، بجودك وكرمك يا سميع، يا قريب، يا مغيث، يا مجيب، يا اللَّه يا اللَّه، يا اللَّه، وصلّى اللَّه على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد للَّه رب العالمين. انتهت بحمد اللَّه وحسن عونه.

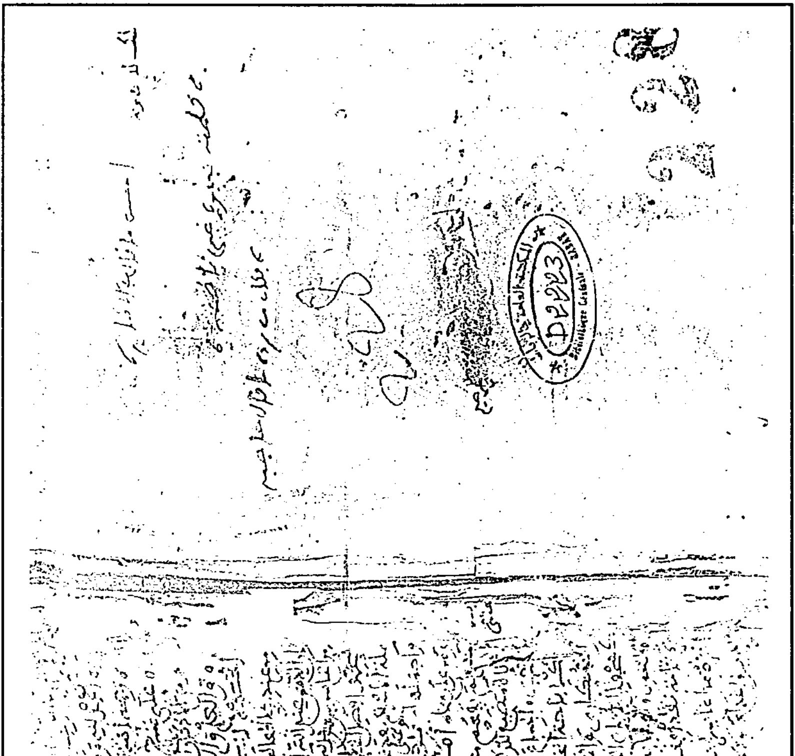
## الرسالة الثامنة

# شرح القواعد الإسلامية والإيمانية وغيرها من الأذكار الشرعية

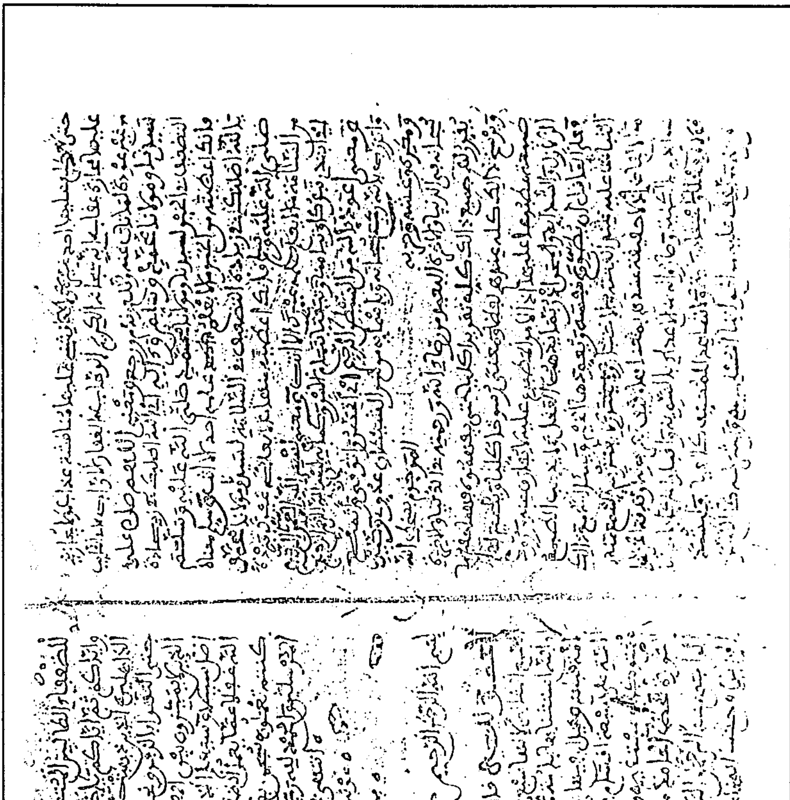
للإمام أبي محمد
عبد الله بن محمد الهبطي
المعروف بالهبطي الكبير
المتوفى عام 963هـ/ 1555م

# تقديم

توجد المخطوطة محفوظة في الخزانة العامة بالرباط، مسجلة تحت رقم (2223د)، ضمن مجموع من صفحة 1 إلى 9، مسطرتها 24، ومقياسها: 19,5 /14,5سم. مكتوبة بخط مغربي وسط محلى بالألوان، وقد نالت منه الأرضة كثيراً. لا ذكر فيها لاسم الناسخ وتاريخ النسخ.



اللوحة الأولى من «شرح القواعد الإسلامية...»



اللوحة الأخيرة من «شرح القواعد الإسلامية. . .»

# نص الرسالة

الحمد للّه، ومما كتب به أبو محمد سيدي عبد اللّه الهبطي رح
اللّه تعالى ورضي عنه ممن يقدر عليه، منبهاً فيه على شرح القوا
الإسلامية والإيمانية وغيرها من الأذكار الشرعية والتحريض ع
التعليم والعلم والعمل به، وهذا صدره:

الحمد للّه الذي قال في كتابه المبين، الذي أنزل به جبريل المكي
من عند رب العالمين، على محمد الأمين، بعد أعوذ باللّه من الشي
الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: 19]، ﴿وَمَن
غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمر
85]، والصلاة والسلام على من جاء بأوضح السنن وأيسر
سيدنا محمد أفضل الخليقة كلها وسائرها، وعلى آله وأصح
الذين نصروا ملة الإسلام بعد غربتها، فعزت بنصرهم، ولبست
حلل ثيابه أحسنها وأجملها، وعلى جميع من تبعهم في تلك ا
السَّنية، إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها، أما بعد:

فمن جهل اللّه ربّه وجهل محمداً نبيه ورسوله[1]... ولم ي
معنى الإله ولا معنى الرسول، ولا معنى الرسالة، وهو ت
للصلاة، مضيع للزكاة، غير محافظ على صوم شهر رمضان، و
ترك الأكل والشرب والجماع فيه خوفاً من مصيبة دنياوية لا غ
وأضاف إلى ذلك إباحة الحريم، حضور كل محضر حرام، -

(1) كلمة مخرومة في ص.

تزاحم الزناة والسكارى والمردة الفسقة، وغير ذلك من المحافل الملعونة كمحفل الدفان الملعون من يحضرها بعد تمكينه إياها من الوشام الملعون، وإعطائه على التمتع بها وتغيير صورتها وتشريح لحمها أجرة تامة تُقدَّر، فقد ابتغى غير الإسلام ديناً، فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين.

ولتعلموا يا معشر المجانين! يا أعداء اللَّه والرسول والدين! وأعداء من دعاكم إليه من المتقين! أن الداعي عندكم لا يكون راعياً بالحقيقة إلا بالدعاية، وكيف يكون الحراث عندكم[1]، أيكون حرّاثاً بالحقيقة أو بالحراثة؟ وكذلك سائر الصنائع عندكم. فإذاً كذلك المسلم عند المسلمين، لا يكون مسلماً بالحقيقة إلا بالإسلام، والإسلام واضح بين معروف، بقواعده الخمس موصوفاً، وهي: شهادة أن لا إلٰه إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج بيت اللَّه الحرام لمن قدر عليه.

فمعنى أشهد أن لا إلٰه إلا اللَّه، أي أعلم وأحقق وأعرف معرفة صحيحة تامة، لا يدخلني فيها شك ولا ريب ولا تكذيب ولا احتمال عيب، دريت ذلك بعقلي وقلبي وروحي ونفسي وذهني أن لا معبود في الوجود يستحق العبادة وحده من غير شك إلا اللَّه الخالق لنا، ولآبائنا الأولين، وجميع الموجودات سواه من العرش إلى الفرش[2].

وكذلك أعلم أيضاً وأحقق وأعرف معرفة صحيحة تامة، لا

---

(1) جملة (كيف يكون الحراث عندكم) مخرومة في ص.

(2) جملة (من العرش إلى الفرش) مخرومة في ص.

يدخلني فيها شك ولا ريب ولا تكذيب ولا احتمال عيب، أن محمداً الرجل القرشي العربي المكي، أنزل اللَّه عليه الملك المقرب جبريل الأمين، وعلمه القرآن المبين وسائر الدين في عشرين من السنين، وعلم هو ﷺ من لقي من المسلمين وعلموه هم رضي اللَّه عنهم من لقيهم من إخوانهم من المؤمنين، حتى انتهى ذلك إلينا، والحمد للَّه رب العالمين. فمن آمن وصدق وعلم وحقق فهو من أهل الحقيقة والحق، ومن جهل أو شتم أو كذب فهو مع من كفر في النار معذَّباً.

وأما معنى إقامة الصلاة فهو ترتيبها كما أداها جبريل إلى سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ إلى أمته، من المحافظة على أوقاتها، والطهارة لها، وإتقان هيئتها، كركوعها وسجودها وجلوسها وقيامها، وإتقان الفاتحة فيها التي لا يقبل اللَّه صلاةً إلا بها، والمحافظة على حضور القلب فيها مع من فرضها علينا، وهو اللَّه ربنا سبحانه.

ومعنى إيتاء الزكاة فهو إعطاء المقدار الذي أوجب اللَّه من المقادير التي وجبت فيها، وهي نصابها في الماشية والحبوب والعين ـ وهي الذهب والفضة ـ. وتعطى لمن أعطاه اللَّه سبحانه في كتابه حيث قال: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: 60].

ومعنى صوم شهر رمضان، فهو أن يصام إيماناً واحتساباً، أي تصديقاً بأن اللَّه أفرضه وأوجبه علينا، واحتساباً أي نحتسب أجرنا فيه على اللَّه سبحانه كما نحتسبه في غيره من سائر العبادات كالصلاة وغيرها، من الممات إلى القبور، إلى النشور، إلى

الموقف، إلى دار القرار، لا لِمَا يعود علينا من المنافع والمصالح في الدار الفانية، إذ أسبابها الموصلة إلى معاشنا فيها معروفة، وهي كالحراثة والرعاية، وغير ذلك من الأسباب.

ومعنى حج بيت اللَّه الحرام لمن قدر عليه، فهو أن يسلك كما سلك في الصوم، وباللَّه التوفيق.

فمن جال في هذه القواعد الإسلامية على نحو ما أشرنا إليه فهو المسلم المحقق، لاحتوائه على قواعد الإسلام، لا الملقَّب به فإذا لبس حلة الإسلام على ظهره فكذلك يجب عليه حلة الإيمان على باطنه، وقواعده المألوفة التي بين المؤمنين معروفة قواعده الست[1] التي هي: آمنت باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره.

واعلموا وحققوا أن هذه القواعد الإيمانية لا ينتفع بها إلا من يعتقد معانيها اعتقاداً مُلِحّاً، ويجزم بها جزماً من غير شك ولا تكذيب ولا احتمال تردد معيب.

فأما معنى آمنت باللَّه، أي حققت وصدقت تصديقاً تامّاً لا يقابله شيء من التكذيب والشك أن اللَّه واحد في ملكه، لا يستحق العبادة معه غيره، ولا خالف لما سواه إلا إياه، ومن عبد معه غيره؛ أي شيء كان ذلك الغير؛ ومات على ذلك فهو كافر مخلَّد في النار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48].

ومعنى الإيمان بملائكته، أي آمنت وصدقت وحققت على الوصف الذي تقدم أن الملائكة خلق من خلق اللَّه، وأنهم ﴿عِبَادٌ

(1) ص: الستة.

مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: 26، 27] ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: 6]، لا كما يقول المشركون إنهم بنات اللّه، تعالى اللّه عن قولهم علواً كبيراً. وقد رد اللّه عليهم في كتابه في أيّما آية، كقوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ وَقَالُوا لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف: 19، 20]، أي يكذبون.

ومعنى الإيمان بكتبه، أي الكتب المنزلة المسماة بكلام اللّه، لكونها عبارة عن كلامه القديم، القائم بذاته القديمة، المستحيل انتقاله عن محله العزيز، النزيه المقدس[1]، وهي مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل منها على شيث بن آدم خمسين، وعلى إدريس ثلاثين، وعلى إبراهيم الخليل عشرة، وعلى موسى الكليم عشرة، وبها تمت المائة، والتوراة والزبور على داود والإنجيل على عيسى، والقرآن على سيدنا محمد ﷺ وعلى جميعهم الصلاة والسلام.

ومعنى الإيمان برسله أن اللّه سبحانه اختار من بني آدم رجالاً ليبلّغوا عنه ما أرسل به ملكه المقرب جبريل إليهم من دين الإسلام، لكي يبلغوه[2] إلى أممهم، وهي ثلاثة مائة وثلاثة عشر، وآخرهم وأفضلهم سيدنا ومولانا محمد ﷺ، ولم يكن معه في زمانه نبي ولا رسول، وكل من يذكر معه في زمانه إنما هو من أصحابه كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة رضي اللّه عنهم.

---

(1) كلمة (المقدس) مخرومة في ص.

(2) ص: يبلغه هم.

ومعنى الإيمان باليوم الآخر، أنه آخر يوم من الدنيا بمن فيها
ن عليها فانية، وأن كل نفس ذائقة الموت، وأنه لا يبقى حي في
ر الجنة إلا ويموت، أماتنا اللّه على الإيمان والإسلام. ثم بعد
ك تبعث الخلائق إلى الجزاء بأعمالهم، كما قال سبحانه وتعالى:
يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
رَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: 6 ـ 8] صدق اللّه
عظيم، وبلغ رسوله المصطفى الكريم، ﷺ، ونحن على ذلك من
شاهدين، وبه مؤمنون، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

ومعنى الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره، فهو التصديق
لتحقيق بأن كل ما يجري على الخلق من الأمور اللاحقة فإنما هي
ي علمه القديم ولوحه المحفوظ، سابقة قد سبق بها علمه ونفذ
ا تدبيره، فلا هرب لأحد على قضائه، فما شاء كان وما لم يشأ
م يكن، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ
ي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: 56] ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي
عظيم. فيجب على من أقدره اللّه على التعليم بما أعطاه اللّه
ن العلم النافع أن يقر للصبيان والنساء والعوام، أحراراً كانوا
و عبيداً، لا سيما إن كانوا في عهدة أو نسبة من قرابة كأهلية أو
بيرها، فقد قال ﷺ: «لا يلقني اللّه أحدٌ بذنب أعظم من جهالة
هله»[1] نقله الإمام الغزالي رضي اللّه عنه في «الإحياء» في
باب النكاح».

فمعنى «لا إلٰه» أنه هو المعبود بالحق، وأن لا معبود في الوجود

(1) نقله الغزالي في الباب الأول من كتاب النكاح من «الإحياء»: 2/ 38، وعلق عليه العراقي بقوله: «ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي سعيد، ولم يجده ولده أبو منصور في مسنده» المغني: نفس الجزء والصفحة.

بالحق إلا اللّه الخالق لجميع الخلائق، فهو إذن[1] الإلٰه الحق، وما سواه فليس بإله، لأنه ليس هو المعبود بالحق، بل بالكذب والافتراء[2].

وكذلك أيضاً يقرر لهم معنى المراد بالكتب، وأنها الكتب السماوية لا الكتب الأرضية التي بأيدي الناس، كالمدوّنة[3] وابن الحاجب[4] وغيرها من الكتب، فإنها مما ألفها العلماء رضي اللّه عنهم.

وكذلك أيضاً يقرر لهم معنى المراد بالرسل، وأنهم رجال من البشر اختارهم اللّه، وإنما سموا رسلاً لما أنزل اللّه عليهم من وحيه، بواسطة ملكه المقرب جبريل عليه السلام، وهذا هو معنى رسالة الرسل، يعني نزول جبريل على الرجل المخصوص بها، الذي اختاره اللّه لها، تسمى رسالة لا غير ذلك، إذ كثير من الجُهّال[5] من يظن عند سماعه لفظة الرسالة التي صار بها الرسول رسولاً هي التي بأيدي الناس التي أرسلها أبو محمد عبد اللّه بن أبي زيد[6]، إلى من طلبها منه، وهو محرز بن خلف[7].

---

(1) ص: إذى.
(2) ص: الافترى.
(3) المدونة في فروع المالكية، كتاب جليل في فقه مذهب مالك للإمام أبي عبد اللّه عبد الرحمن بن القاسم المالكي، المتوفى عام 191هـ.
(4) أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر، المعروف بابن الحاجب، المتوفى عام 646هـ/ 1248م (انظر ترجمته في شجرة النور الزكية: 167 ـ 168).
(5) ص: الجهالة.
(6) الإمام أبو محمد عبد اللّه بن أبي زيد المالكي القيرواني، المتوفى عام 386هـ/ 996م (انظر كتاب الوفيات لابن قنفذ: 221).
(7) لم أقف على ترجمته بعدُ.

وكذلك يقرر لهم معنى المراد باليوم الآخر، وهو أن جميع الإنس والجن والملائكة، وغيرهم من سكان الأرض والسماء والكرسي والعرش، كلهم يموتون ويبقى من العرش إلى الفرش لا حي فيه إلا اللَّه تعالى سبحانه، ثم بعد ذلك يرجع الخلق كما كانوا أول مرة.

وكذلك يقرر لهم ذكر الفِتْنَات عند الموت، وذكر الملكين منكر ونكير عند القبر، وما احتوى عليه يوم الفزع الأكبر، من أخذ الصحف، ووزن الحسنات والسيئات في الميزان، وذكر الحوض، والصراط، والميزان.

وكذلك يقرر لهم معنى المراد بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، تقريراً كلياً حتى يرسخ لهم رسْخاً كلياً، ويفهموه فهماً حقيقياً.

وكذلك يقرر لهم معنى ما يُسألون عنه في قبورهم بعد أن يلقنه لهم من قولهم: «اللَّه ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي ورسولي، والقرآن إمامي، والكعبة قبلتي، وإبراهيم أبي، وملته ملتي»[1].

وكذلك يقرر لهم ألفاظ الأذان، والإقامة، والتشهد، والقنوت، والفاتحة، وسورة الإخلاص، يعني ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: 1 ـ 4]، وسائر الألفاظ التي تجري على ألسنتهم في الصلاة، كالتسبيح والتكبير،

(1) جزء من حديث طويل رواه البراء بن عازب، دون زيادة «والقرآن إمامي، والكعبة قبلتي، وإبراهيم أبي، وملته ملتي» قال العراقي: «أخرجه أبو داود والحاكم بكماله، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وضعفه ابن حبان، ورواه النسائي وابن ماجه مختصراً» المغني: الباب السابع من كتاب ذكر الموت وما بعده 4/ 531.

و«سمع اللّٰه لمن حمده» و«اللهم ربنا ولك الحمد» وغيرها.

فمعنى «سمع اللّٰه لمن حمده» أي أجاب اللّٰه من دعاه. ومعنى «اللّٰهم ربنا ولك الحمد» أي يا اللّٰه أجب دعاءنا. وبعد الصلاة كالذكر المشروع حينئذٍ وهو: «سبحان اللّٰه، والحمد للّٰه، واللّٰه أكبر، ولا إلٰه إلا اللّٰه»[1]. ومعنى «سبحان اللّٰه»، أي لا عيب ولا نقص فيه سبحانه. ومعنى الحمد له، أي الكمال كله للّٰه سبحانه وحده لا شريك له. ومعنى «اللّٰه أكبر» أي اللّٰه كبير. ومعنى كبير، أن كبرياءه[2] سبحانه يرجع إلى كبرياء ذاته وصفاته وعظمتها ومجدها وتنزيهها عن النقائص والعيوب، لا إلى كِبْر الأجرام والأجسام، فإن ذلك مستحيل عليه، لأن ذاته سبحانه ليست بجرم ولا جسم، وصفاته ليست بحادثة ولا مخلوقة، بل ذاته سبحانه لا تشبه الذوات، وصفاته لا تشبه الصفات، سبحانه وتعالى، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، ومعنى «لا إلٰه إلا اللّٰه» قد[3] تقدم، وهو لا معبود في الوجود بالحق إلا اللّٰه الخالق لجميع الخلق، الغني عنهم على الإطلاق، والمفتقرون هم إليه والمحتاجون على الإطلاق. وفي غير الصلاة كالحوقلة، والحسبلة، والاستغفار، والصلاة، والسلام على النبي المختار، والبسملة والاستعاذة.

---

(1) ورد في الحديث أنهن «الباقيات الصالحات» بزيادة «لا حول ولا قوة إلا باللّٰه»، قال العراقي: «أخرجه النسائي وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد، والنسائي والحاكم من حديث أبي هريرة دون قوله: لا حول ولا قوة إلا باللّٰه» المغني: الباب الأول من كتاب الأذكار والدعوات: 1/ 355.

(2) ص: كبرياؤه.

(3) ص: وقد.

فمعنى «لا حول ولا قوة إلا بالله»، أي لا حركة ولا سكون إلا
لله ومعنى «حسبي الله» أي كفاني الله وحده، لا شريك له، إذ هو
حانه المتولّي أمري، والخالق له، والعالم به، والمتصرف فيه على
نفراد من غير شريك له سبحانه وتعالي. ومعنى «أستغفر الله»، أي
لب من الله ستر معائبي ومشافي[1] ونقائصي، حتى لا يطلع عليها
د غيره، ولا يناقشني عليها مناقشة عذاب، ولا يجازيني عليها
جازاة[2] عقاب، إنه سبحانه الكريم الوهاب، الغفار الأواب، أي
ائب من غير عودة لما تاب عنه وقَلَع وندم ورجع[3].

ومعنى «اللهم صلّ على سيدنا ومولانا محمد وسلّم وآله» أي يا
له أطلبك في زيادة التضعيف في الخير لسيدنا ومولانا محمد ﷺ،
نك أعطيته من الخير ما لا يعلم علمه أحد إلا أنت. و«سلّم» معناه:
الله! أطلبك في زيادة التضعيف في السلامة لسيدنا ومولانا محمد
ﷺ، فإنك أعطيته منها ما لا يعلمه غيرك، فزِدْهُ من السلامة ما لا يعلم
لمه غيرك إلا أنت.

ومعنى «بسم الله الرحمن الرحيم» أي أبتدئ تبركاً وتيامناً وتيقناً
مام الأمر وكماله بـ«بسم الله الرحمٰن الرحيم».

ومعنى «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» أي أتحصن وأتوقى
أتمنع وأتزر بالله ربّي سبحانه، وبأسمائه من شر الشيطان عدوّي،
كيده ومكره وغشه وحزبه...[4]، المرجوم بسخط الله سبحانه

---

(1) الشَفَى هو الخطيئة (انظر لسان العرب: مادة «شفي»، 14/ 437).
(2) ص: مجازة.
(3) أي قول: «إنا لله وإنا إليه راجعون».
(4) بياض في ص، وهو بمقدار أربع، كلمات تقريباً.

في الدنيا والآخرة، البعيد من رضاء اللّه ورحمته في الدنيا والآخرة.

يقرر لهم جميع ذلك كله تقريراً كلياً، حتى يفهموه فهماً حقيقياً، ويرسخ ذلك كله عندهم لفظاً ومعنى رسوخاً كلياً، ويصير لهم طبيعة مطبوعاً عليها، إذ الأمر المطبوع عليه لا يفارق عند ورود الزلازل والشدائد والمحن، إذ ربما يذهب العقل ولا يذهب الطبع.

فعلى العاقل أن يطوّع نفسه، ويعوّدها الخير، ويسأل اللّه مع ذلك الثبات عليه عند الفتنة والاختبار. ولا يغتر بما يسمع منهم من الألفاظ، إذ لا حقيقة عندهم بمعناها، وكيف يعرفونه وهم قد أعرضوا عن الدين بالكلية، وصاروا له من الأعداء بالسَّوية، وأقبلوا على كل فاحشة قولاً وفعلاً واعتقاداً ونية؟! ولا شاهد للمنصف[1] كالعيان، فليشدّ روحه من يقف عليه من إخواننا المسلمين، ويشرحه كل الشرح للضعفاء الطالبين المتعلمين، وليكن إلى دين اللّه من الدعاة الفائزين. وإياكم ثم إياكم يا إخواننا ويا أحباءنا[2] أن تكونوا من الغافلين الذاهلين، الذين ذهبت بذرياتهم الشياطين، إلى محفل الزائغين، حتى التهوا بالزفْن[3] ونحوه عن دينهم، فأصبحوا من الكافرين الخاسرين الذين لا يميزون بين المُرسل والمرسلين، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[4] [الفرقان: 44] ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ

(1) ص: للمصنف.
(2) ص: أحباؤنا.
(3) الزفن هو الرقص (انظر لسان العرب: مادة «زفن»، 13/ 197).
(4) ص: أضل سبيلاً.

ٱلظَّٰلِمُونَۚ ﴾ [إبـراهـيـم: 42]، ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الـمـائـدة: 105]، ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: 180 ـ 182][1].

انتهى بحمد اللّه تعالى وحسن عونه، وتوفيقه الجميل، بمنه وجوده وكرمه.

(1) ص: إليه.

## الرسالة التاسعة

# أرجـوزة
# «شمس الضحى»

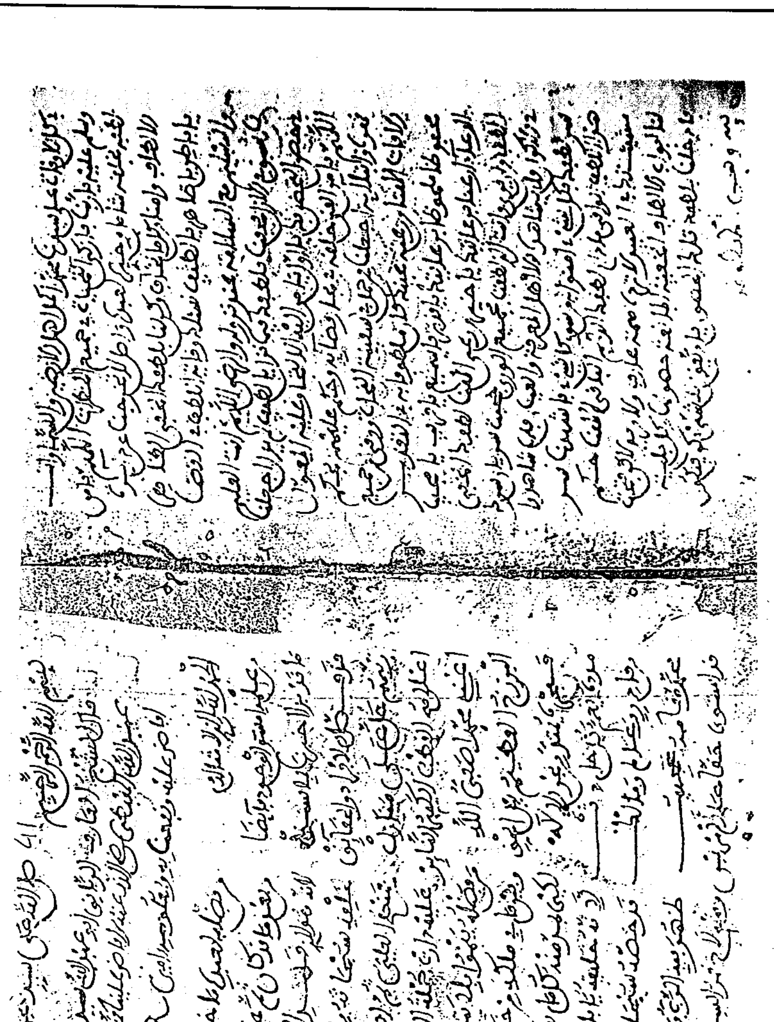
للإمام أبي محمد
عبد اللَّه بن محمد الهبطي
المعروف بالهبطي الكبير
المتوفى عام 963هـ/ 1555م

# تقديم

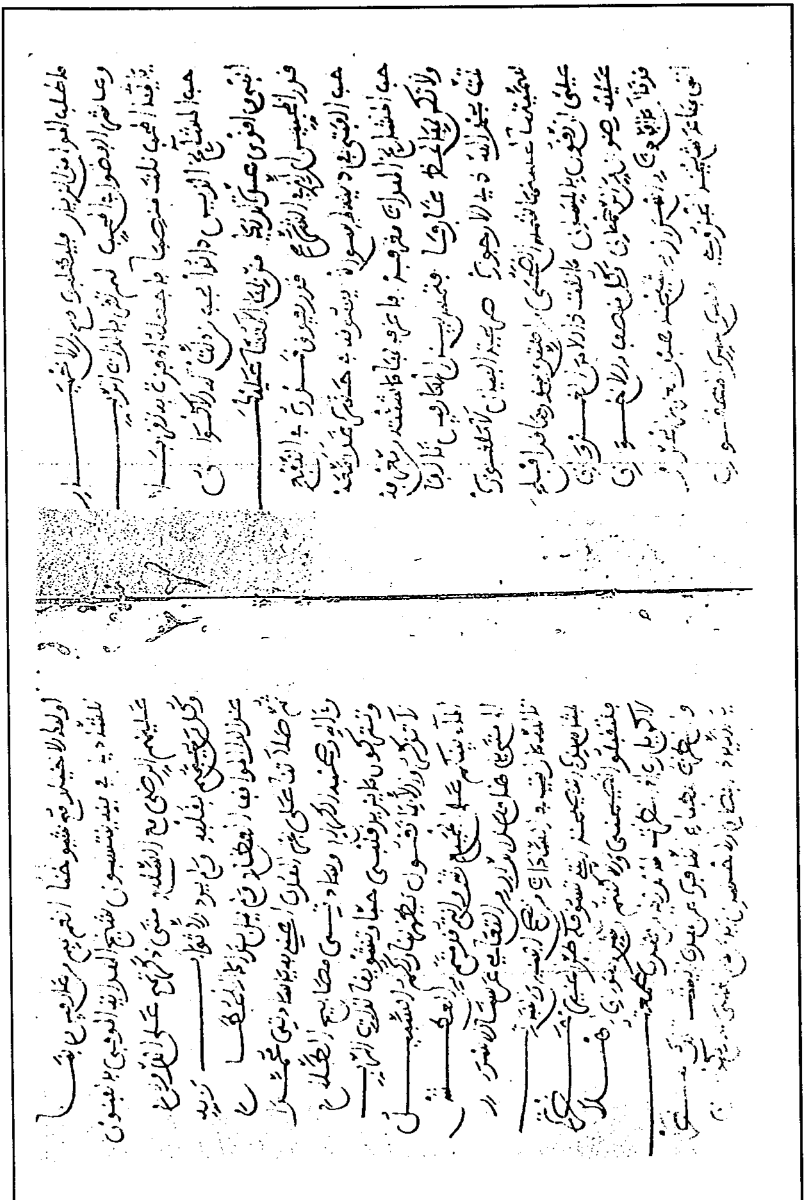
ما قلناه في تعليقنا على المنظومتين اللتين ذيل بها الهبطي الكبير رسالتيه الثانية والسادسة من ضعف في الذوق الشعري، ورداءة في النّسج وتكلّف في العبارة، هو عينه ينطبق على منظومته في التوحيد المكونة من 276 بيتاً، والتي وَسَمَها في خاتمتها بـ«شمس الضحى». ومما اتسمت به انفلات بعض الأبيات عن أوزان بحر الرجز، وهي الأبيات 28 و30 و31 و39 و67 و84 و89 و107 و116 و137 و167 و198 و206 و230 و233 و265 و273 و275.

وقد قسّمها إلى عشرة فصول: الفصل الأول في التوحيد، والثاني في الذكر، والثالث في الشريعة، والرابع في الطريقة، والخامس في الحقيقة، والسادس في الشيخ المربّي، والسابع في الخديم للشيخ والمريد، والثامن في المريد السالك، والتاسع في زيارة الشيخ، والعاشر في المحب للأولياء.

النسخة التي اعتمدت عليها محفوظة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (2734د)، ضمن مجموع من صفحة 41 إلى 58. مسطرتها تتراوح بين 16 و17 سطراً عند كل صفحة، ومقياسها: 19/ 15سم. مكتوبة بخط مغربي وسط، ولا ذكر فيها لاسم الناسخ وتاريخ النسخ.



**اللوحة الأولى من «شمس الضحى»**



اللوحة الأخيرة من «شمس الضحى».

# نص الأرجوزة

قال الشيخ العارف الرباني أبو محمد[1] سيدي عبد اللّه الهبطي رضي اللّه عنه، وأفاض علينا مما أفاض عليه، ونفعنا به وبعلومه، آمين:

الحمد للّه الذي لا مثل لهْ ∴ من فضله لعبده ما خوّلهْ
من علمه أمسى الوجود فاضلاً ∴ من بعد ما قد كان ثَمَّ غامضا
ما قد بدا أخبرنا بما سبقْ ∴ لأنه هو الذي قد التحقْ
قد فصّل الأفراد والحقائقْ ∴ لخلقه سبحانه من رازقْ
رَتَّبهمْ ـ جلَّ ـ على منازلْ ∴ فمنهمُ العليّ ثم السافلْ
أعلاهمُ القطب الكبير النائرْ ∴ عليه دارت جملة الدّوائرْ
أعني محمداً صفيّ اللّه ∴ من فضله ينمو بلا تناهِ
البرزخ العظيم بين الحقِ ∴ وبين ما في ملكه من خلقِ
فبحره يمتد من بحر الإلٰهْ ∴ لكن يمد منه كل ما سواهْ
مدده يعم كل حادثْ ∴ لأنه خليفة يا باحثْ
وقادر وعالم ومالك ∴ قد خصّه سبحانه بذلك
محمد مقامه عجيبُ ∴ ظهر فيه الرب والمربوبُ
قد استوى حقاً على الأمرين ∴ ومنه لاح قمر السرينِ
فصاحب الظل اجتلى في الظِلّ ∴ فاعرفْ هُديتَ قدر هذا القولِ
محمد فيه التقى البحرانِ ∴ شهوده يكفيك في العيانِ

(1) ص: أبو عبد اللّه.

فاجعله في طي الفؤاد ثابتاً .:. تنل وصال الحق ثم يا فَتَى[1]
فخذ إليك كشف هذا السرِّ .:. وسِرْ بِهِ لعلْمِ ما لم تدرِ
حتى تنال علم ما هناكَ .:. ولن ترى لذا السِّوى سواكَ
إن الذين بايعوا العَدنانَ .:. اللّٰهَ بايعوا على العيانِ
لقد أتانا في كتاب اللّٰهِ .:. فلا تكنْ عن سر ذاك ساهِ
مجيئه بالحصر فيه سرٌّ .:. دلّ على أنْ ليس ثمَّ غيرُ
ولنعطفِ العنان عن ذا الكشفِ .:. ومثلُ ذا لمن رعاه يَكْفِ
ثم الصلاة والسلام منّي .:. على مُفِيضِ نوره في الكونِ
محمدٍ وآلهِ وصحبهِ .:. وكلِّ مَن قام لنصر دينهِ
وبعدُ فالقصد بذا المشطورِ .:. بيانُ ما أبثُّهُ من نورِ
عسى يضيء بارق على العبادْ .:. فيهتدون في الطريق للمرادْ
جعلته في عشرةٍ منَ الفصولْ .:. مؤيّداً بالعقل ثم المنقولْ
فأوّلُ الفصول في التوحيدِ .:. والثّانِ في الذكر البهيّ المجيدِ
وثالث الفصول في الشريعه .:. عينِ سعادةِ الورى الرفيعه
ورابع الفصول في الطريقه .:. والخامس في السير للحقيقه
وسادس الفصول في شيخ الهدى .:. المهتدي المُهْدِي لمن اقتدى
وسابع الفصول في الخديمِ .:. المرتضى ذي الخُلُق الكريمِ
وثامن الفصول في المريدِ .:. السالك السبيل للتَّفريدِ
وتاسع الفصول فيمنْ زارَ .:. ملتمِساً لِكَسْرِهِ انجبارَا
وعاشر الفصول في المحِبّ .:. لَهُمْ تقرُّباً لذاتِ الربِ
فالخمسة الأولى منَ الفصولِ .:. في حالةِ السير إلى الوصولِ

---

(1) ص: فَتا.

والخمسة التي تليها في الرجالْ .·. الطالبينَ في السرى نيل الكمالْ
أبرزتها تَتْرَا على ذا الترتيبْ .·. كي لا يحلَّ القرب منها التكذيبْ
لأنّ ذا الإنصاف والتوفيق .·. يلقى الجميعُ منها بالتصديقِ
إذ أبرزتْ ما كان في الغيب انطوى .·. ولم تكنْ بالنطق عن رأي الهوى
فأول الفصول في التوحيدِ .·. إذ هو أهل الفوز والتسديدِ
به الأصول والفروع تثبتُ .·. عن غَيْبِه كلُّ الفنونِ تنبتُ
به بلوغ غاية المرادِ .·. به المنى ينمو بلا نفادِ
تشعشعتْ عن نوره الأنوارُ .·. تفجَّرتْ عن بحره الأزهارُ
الحال والمقام والمكانُ .·. جميعها بسره يصانُ
عليك بالتوحيد يا خليلِ .·. تدنو إليك حضرة الوصولِ
عن الشبيه ظاهراً أو باطناً .·. تنزَّه المولى العظيم ربُّنا
قد خالف الأشباح والأرواحَ .·. والكُنْهَ منه للورى ما لاحَ
الذات من ربّي كذا الصفاتُ .·. عن جملة العقول غائباتُ
ما صح عندها سوى الوجودِ .·. خالٍ عنِ القيود والحدودِ
لا كَيْفُ، لا أَيْنُ، استقرّ عندها .·. وأنه مخالف لجنسها
هيهاتَ لمْ تُحِطْ بعلم الحادثِ .·. كيف تحيط بالقديم الوارثِ
أقلُّ خَلْقِ اللّه مثلُ الذَّرَّهْ .·. عن سرِّ صُنْعها العقول قاصرهْ
لم يُحْصِ ما فيها منَ السرِّ الغريبْ .·. إلا الذي أتى بذاك التركيبْ
قد خصَّها بشكلها ورزقها .·. مع علوِّ قَدْرِهِ عن قدرها
من ذا يبال بشؤون مثلها .·. إلا الذي نعوته فوق اللّهَى
سبحانه عمَّ الورى بالفضلِ .·. ولا له من حاجةٍ للكلِّ
هو الغنيُّ الأزليُّ الباقي[1] .·. غَنَاؤه جَلَّ على الإطلاقِ

---

(1) ص: الباق.

لم يفتقر لنفسه كيف إلى :. سواه من كلِّ الخلاء والمَلَى
يكفي المريدَ مثلُ هذا الاعتقاذ :. ما لم يكنْ فيه شروط الاجتهاذ
لكنه يُجَرِّدُ الفؤادَ :. مما له الطبع الذميم اعتادَ
وعن جميع ما يصدُّه ارتقا :. حتى ينال علم ذاك ذوقا
وكلّ ما ينال بالبرهانِ :. يناله بالكشف والعيانِ
ولا يزال هكذا يَسْرِ :. حتى يغيبَ سِرُّهُ في السِّرِّ
ويرجعَ الوجودُ شيئاً[1] واحدْ :. ويبطل المعتاد والعوائدْ
إذا تجلى في الورى التوحيدُ :. فالشاهد الرائي هو المشهودُ
وثاني الفصول في الذكر البَهِي :. لكل مبتدي وكلِّ منتهي
الذكر عمدة لكل سالكْ :. تنوَّرتْ بنوره المسالكْ
هو المطيَّةُ التي لا تنكبْ :. ما بعدها في سرعة الخُطا نُجبْ
به بلوغ السالكين للمُنَى :. به بقاء المرء من بعد الفَنَا[2]
به إليك كلُّ صعبٍ يسهلُ :. به البعيد عن قريبٍ يحصلُ
فَهُوَ أَقْوَى سببٍ لديكَ :. وكلُّه إليك لا عليكَ
وكلّ طاعة أتى الفتى بها :. هُوَ أساسها كذاكَ سَقْفُهَا
وَوَحْدَهُ يفوق كل طاعةٍ :. كما أتى عن صاحب الشفاعه
كفى بفضله لَدَى البيانِ :. ذهابه بالسهو والنسيانِ
إذا ذكرتَ من له الغنى العظيمْ :. لديك يَصْغُرُ الفقيرُ يا نديمْ
عليه دُرْ حتى إذا تجوهَر :. بِسِرِّهِ الفؤادُ كلّ ما ترى
ترى به المذكورَ دون سترِ :. وقد علا الإدراكُ دَرْكَ الفِكْرِ
به الحبيبُ في الورى تجلَّى :. به السُّوى عن الحِجا تولَّى

(1) ص: شيء.
(2) ص: الفتى.

بِه تَمَكَّنَ المريدُ في الفنا .·. حتى يسيرَ قائلاً أنَا أنَا
به رجوعه إلى العبادةِ .·. به التصرف الذي في العادةِ
تاللّه لو جئتَ بكلّ قولِ .·. ما جئتكم بما له من فضلِ
لكنَّ بالتجريب كلُّ حاذقِ .·. يروم ما ينال خيْر ذائقِ
فإن تَقُلْ بيِّنْ لي كيف نذكرُ .·. وما به الذكر الذي نُحَرِّرُ
فالذكر بخرٍّ ماله من ساحلِ .·. وطعمه على مراد القائلِ
فمن يُرِدْ لحبه الوصولَ .·. حتى يكون عنده مقبولَ
ما دلّه على المنى هو المرادْ .·. بسرعة يقوله على انفرادْ
لقلبه يوجِّهُ الإشارهْ .·. بقصد ما في النطق من عبارهْ
حتى إذا يطابق الجَنَانَ .·. بِفهمِهِ حاله اللسانَ
يداوم المريد تلك الحالهْ .·. مراقباً ما بَعْدَتَى المقالهْ
هناك الأسرار تأتي طوعاً .·. محمودة شرعاً كذاك طبعا
به يحن العبد للعبادةِ .·. به تطيب واردات العادةِ
تاللّه لولا الذكر ماجرى[1] المريدْ .·. في طاعة أو عادة يبغي المزيد
لكنَّ حين قد رأى محمداً .·. رتّبه على جميع ما بدا
من طاعة أو عادة كما يرى .·. على محبة إليها بادَرَا
بادرْ إليه أنت يا مريدُ .·. تنل به جميعَ ما تريدُ
إن قلتَ زدني من بيانِ حالهمْ .·. في سيرهمْ إلى جوار ربّهمْ
بالاسم قد تجوهر اللسانُ .·. وللمُسمّى بادَرَ الجَنانُ
حتى يرى معنى الذي تلى اللسانْ .·. في القلب ثانياً كذا في الأركانْ
فتلك حالةٌ عظيمٌ قدرُهَا .·. فَحَاوِلَنْ أنتَ على بلوغها

---

(1) ص: جرا.

وثالث الفصول في الشريعهْ .: لأنـهـا إلـى الـهـدى ذريـعـهْ
فـكـل بـابٍ دونـهـا مـسـدود .: ومـن أتـى بـغـيـرهـا مـردودُ
قد اصطفاها ربنا عز وجل .: بفضله وجوده على المللْ
طـريـقـة الـرحـمـن لـلـعـدنـانِ .: مـحـفـوفـةٌ بـالـنـور والـرّضـوانِ
طوبى لمنْ أتى بها في العرضِ .: والويل للذي بها لم يقضِ
يـا أيـهـا الـمـريـدُ إن أردتَ .: وِصـال مَـنْ بـحـبّـه شُـغِـفْـتَ
فَـشُـدَّ مـنـك الـكـف يـا ولـيّ .: عـلـى شـريـعـة الـنـبـي الأمّـيْ
حصِّلْ جميعَ ما له الشرعُ ارتضى .: وكُـنْ لـكـلّ مـا سـواه رافـضـا
تـرى الـفـؤاد صـافـيـاً وشـارقـا .: وعن سوى المولى إلى المولى ارتقى[1]
ضـمـنـتُ لـلـذي أتـى بـذاكَ .: جـمـيـع مـا يـريـده هـنـاكَ
مـن الـمـلاطـفـة والأسـرارِ .: حتى يصيرَ مثل أهل الدارِ
فبالشريعة الوصول للمُنَى .: كالفوز بالبقاء من بعد الفَنا
بـهـا صـحـابـةُ الـرسـولِ فـازوا .: عن السِّوى بها لربّي حازوا
فـكـل خـيـرٍ ربُّـنَـا ألـقـاهُ .: لـخير خَلْقه كما اصطفاهُ
ومن يظنُّ الخير في سواها .: فـإنـه والـلّـه مـا دارهـا
مِنـهَـالُـهَـا والـلّـه خيرُ منهالْ .: نافِسْ في حبها وإن لم تفعلْ
يا أسفَى على الذي قد ماتَ .: مـنـهـا ومَـرَّ خـيـره وفـاتَ
لِـفـقْـدهـا فـقـدتُ كـل خـيـرِ .: وعـمـتُ فـي بـحـارِ كـل شـرّ
نـبـكـي دمـاً وحـقٌّ لـي الـبـكـاءُ .: إذ للورى في الغيّ قُلْ سواءُ
انـظـر إلـى الـفـقـيـر والـفـقـيـهِ .: حَـالُـهـمـا كـحـالـة الـسّـفـيـهِ
حين انتفى الشرع القويم لم نَرَ .: مـا بـيـنـنـا إلا فـسـاداً وافـتِـرَا

(1) ص: ارتقا.

إن الجبال أَوَّبتْ بالهَمْرَزَهْ ∴ وبالصُّيُوح واللغات الفاجرهْ
كالقيل والباقول[1] والقصائدْ ∴ وكُلّ قولٍ للفساد زائدْ
والصوت بالتسبيح والتهليل ∴ مستنكراً في أهل هذا الجيلِ
مِنْ تركهمْ للذكر والبحث على ∴ معناه لا تلقى سوى مَنْ جَهِلاَ
القصدَ بالتسبيح والتهليلِ ∴ ولا درى شيئاً مِنَ التأويلِ
بل كلُّهمْ قد قال: معنى الهيللهْ ∴ نفيُ الصليبِ هُوَ عند النقلهْ
وجَهِلُوا ما نصَّهُ القرآنُ ∴ فَابْكِ وزِدْ يا من له إيمانُ
شريعةٌ طلبها النَّبيُونْ ∴ لأجل ما بها من السِّرِّ المصونْ
بالغَيِّ باعها الذين سادوا ∴ في عصرنا والخيْرَ عنه حادوا
عليك بالشَّرع القويم يا فتى[2] ∴ ولا تَكُنْ لغيره مُلْتَفِتا
كفى بفضلك لدى الرحمٰنِ ∴ كَوْن وُرُودِهِ عنِ العدنانِ
فاقبل نصيحتي وَتُبْ للّهِ ∴ وفارقِ الساهي، نَعَمْ واللاّهي
ورابعُ الفصول في الطَّريقه ∴ من ظاهر الشرع إلى الحقيقه
يا أيها المريدُ بَادِرْ! بادِرْ! ∴ لما لَدَيْكَ جَنٌّ في السرائرْ
بالحال والمقام يسلكُ الوليّ ∴ لربِّهِ، فسدِّدَنْ وحاولْ
في التَّوْبِ والزهدِ المقامات انطوتْ ∴ كذاك الأحوال التي[3] ترتّبتْ
أمْسكْ عنانَ النفسِ عن هواها ∴ ورُدَّها قهراً إلى مولاها
ولْتَسْتَعِنْ على رُجوعِهَا لهُ ∴ به يردّها له سبحانَهُ
لأنّهُ بالاختيار قاضي ∴ مُنزَّهٌ جلَّ عنِ الأعراضِ
ذو الفضلِ والجود على الأكوانِ ∴ سبحانهُ منْ واحدٍ منّانِ

(1) لعلها كلمة عادمية.
(2) ص: فتا.
(3) ص: الذي.

في كلِّ حالٍ منك راقبْ نفسكَ .·. واحْذَرْ مِنَ الكيد العظيم جهدكَ
فإنْ تكُنْ تعلَّقَتْ بالخلقِ .·. فحقِّقِ افتقارها للحقِّ
وتبْ من الذي يدا للقلبِ .·. إن لم يكنْ من سرِّ سرِّ الغيبِ
لأنّ طالب الوصول يهربُ .·. من كل شيء للفؤاد يَجْرُبُ
فاجعلْ لَدَى لسانك الدليلَ .·. وفي الفؤادِ الزاهدِ المدلولَ
واخْتَرْ مِنَ الأسماء ما دلَّ على .·. ذاتِ كمالها يفوتُ العَقْلاَ
لازِمْ شهودها ولا تبالِ .·. بما يفوتُك من الأحوالِ
وإنْ أتاني خاطرٌ لغيرها .·. فَرُدَّهُ ولُذْ بها من مَكْرِهَا
بلْ غِبْ عن الدليل في المدلولِ .·. لَدى الصعود ولَدى النزولِ
والنفسَ جاهدْهَا على التَّجلّي .·. حتى إليهِ بالدوامِ تُذْلِي
ولا ترى في كل ما تراهُ .·. إلا الذي بعلْمِهِ سوّاهُ
فإنْ فعلتَ فزتَ بالمقاماتْ .·. الكاملاتِ كُلِّها والحالاتْ
وإنْ تَمِلْ لراحة الفؤادِ .·. فَتُمْسِ في وادٍ مِنَ البِعادِ
وخامسُ الفصول في الحقيقه .·. حيث امْتَحَتْ رُسومُ ذي الخليقه
لا فِعْلَ لا وَصْفَ لذاتِ الحادثِ .·. بل ذاتُهُ غابت بذات الوارثِ
الذِّكرُ والمذكورُ ثُمَّ الذاكرُ .·. لواحِدٍ جميعُها قل سائرُ
فلا يرى سواه مَنْ هناكَ .·. بل كلّ ذلك الشهود ذاكَ
في الكلِّ غاب عند ذاك الكلُّ .·. فالوصفُ واحدٌ كَذَاكَ الفعلُ
لدى سَمَا التوحيد شمسُ الذاتِ .·. بَدَتْ فغاب قعرُ الصِّفاتِ
لا عينَ عندها لِمَا سواها .·. فَقَمْرُهَا هناك لا يراها
لِبَاسُها الصفاتُ والأسماءُ .·. تبدو بها حباً إذا تشاءُ
كما بها تغيبُ إنْ أرادتْ .·. تطويرها فيه العقولُ حارتْ
طوبى لمنْ له تجلَّتْ فيهِ .·. لِكلِّهَا عن كلِّهِ تُفنيهِ

وكيف ما يكون كان عندها .:. بها لها مُعظّماً لِشَأْنِها
ممتثلاً في كل أمرٍ أَمْرَهَا .:. يُحِبُّهُ بكلّه لحبّها
بمثل هذا الأسلوب العجيبِ .:. يطيب كلُّ عاشقٍ لَبيبِ
إن قلتَ كيف حالةُ العُشّاقِ .:. هل مِنْ فراقٍ بعدها التّلاقِ
على الدوام أبداً العاشقُ .:. بها لها في سرها يعانقُ
نَارَ اشْتياقِهِمْ إليها موقَدهْ .:. وَهْيَ لدىٰ أعينهم مُجرّدهْ
ما دامتِ النار التي لديهمُ .:. شهودها ميسّرٌ عليهمُ
إن قلتَ لا بدَّ منَ البيانِ .:. عن شأنها في حضرة العيانِ
عن دَرْكِنا غَيَّبها التعظيمُ .:. فالكلُّ دون قدرها يَهُومُ
لكنّها تحضرها الأشواقُ .:. بوصفها البهي الذي يُطاقُ
الشوق والتعظيم كُنْ بينهما .:. تَنَلْ مِنَ المعارف الذي سَمَا[1]
وسادسُ الفصولِ في بيانِ .:. شيخ الطريقة إلى الرحمٰنِ
لأنهُ أصلٌ لكلِّ حالهْ .:. إنْ جاءَ الفرْعُ لا محالهْ
إن لم يكنْ خليفةَ الرسولِ .:. لدى الفروع ولدى الأصولِ
والشرعِ والطريقِ والحقيقةِ .:. قد شدّ ذاك في عُرَى وثيقةِ
فَهُوَ ناقص وكلُّ ناقصْ .:. عن السبيل المستقيم ناكصْ
ضررهُ للدين والإخوانِ .:. أضرُّ مِنْ ضرورة الشيطانِ
إلا إذا تدرّعَ الإنصافَ .:. وراقت المُنْشي لهُ وخافَ
ولمْ يَمِلْ إلى الدعاوَى أصلاً .:. حالاً ولا فعلاً كذاك قولا
وإنما يُشير للذي لَحِقْ .:. مراقباً إلٰههُ إذا نطقْ
معتقداً أن العليم حاضرْ .:. يرى الذي يجول في الضمائرْ

(1) ص: سمى.

وأن كـلَّ مـدّعـي مـسـؤولُ .:. ويظهر الصحيح والمعلولُ
يوم يـفـرُّ الـمرءُ مـن أخيـهِ .:. ولـيـس ثَـمَّ بـاطـلٌ يـنـجيـهِ
تـاللّـهِ لـيس يـنفعُ الإنسـانَ .:. سوى الصحيح كيف ما قد كانَ
مهلاً على من كان مثلي في الورى .:. يدعـو إلى ظنٍّ وَوَهْـم وافتِرَا
مـزيِّـنـاً طـريـقـهُ بـالإفـكِ .:. والـزورِ والـبـهـتـانِ دونَ شكِّ
مُبعِّداً عن الحديث والكتابْ .:. ونفسَهُ يعدُّهَا في الأقطابْ
كيف يكون الحال يوم العرضِ .:. ولـيـس ثَـمَّ غـيـرُ رَبٍّ يَـقْـضِ
أفٍّ لـهـذا الـزائـلِ الـحـقـيـرِ .:. عـنِ الـصّـراط مـال بـالـفـقـيـرِ
حتى ادّعى ما ليس فيه حاصلْ .:. ولا بِـقُـرْبِ مـن حـمـاهُ نـازلْ
الـطـبـعُ غَـرّهُ لِـمَـا رآهُ .:. مِـنْ رفـعـةٍ لـه عـلـى سِـواهُ
وغـاب عـنـه مـا وراء ذلـكْ .:. لـجـهـلـه بـاللّـه ربِّ الـمـالـكْ
يا قلبُ لا تَمِلْ إلى الوسواسِ .:. ما الشر إلا في قَبُولِ الناسِ
غَيِّبْ جميعهمْ في بحر التوحيدْ .:. ورَبِّعانْ على بساط التفريدْ
ونَـاجِ مَـنْ هـو إلـيـك أقـربُ .:. وأيّ مـطـلـوب سـواه تـطـلـبُ
كما هو الحبيبُ مِنْ غير عِوَضْ .:. فَحِبَّهُ وأنت خالٍ من غَرَضْ
هـذا هـو الـتـأدُّبُ الـعـجـيـبُ .:. وسـرّهـمْ بـنَـيْـلـهِ يـطـيـبُ
زَاحِمْ ـ هُديتَ ـ هؤلاء يا فلانْ .:. ولا تزاحِمْ مَنْ يميلُ للفَانْ
وسابعُ الفصولِ في الخَدِيم .:. المرتضى ذي الخُلُقِ الكريم
إن الـخـديـمَ ظـنُّـهُ جـمـيـلُ .:. دَلَّ عـلـى فـلاحـه دلـيـلُ
أَهّـلَ نـفـسَـهُ لـخـدمـة الـرجـالْ .:. لكي ينال مِنْ حَبِيبِه الوصالْ
دلَّ المحبّ في طِلاب القُربِ .:. عن عزيز عند أهل الحبِّ
أتى بيوتَ القربِ مِنْ أبوابها .:. فَـفُـتِـحـتْ لـهُ إذاً بـأسـرهـا
طـوبى لـه بُـشرى لـه اسـتـفـادَ .:. ونـال خـيـرَ قُـربـةٍ وسـادَ

إذاً عنِ القصد الذَّميم أعرضَ .:. ولم يُرِدْ بكدّه سِوى الرضى
فلا يُحرّكُ الخديم ما سكنْ .:. إلاّ لوجهِ مَنْ يجود به المننْ
ولا يُسَكِّنِ الذي تحرّكْ .:. ولا لأمرٍ ما يكون تارِكْ
إلاّ لوجه ذي الجلال والكمال .:. ما بعد ذاك للخديم من وصال
أنعِمْ بذاكَ للخديم منْ نوالْ .:. إذا صفا الضمير منه والبالْ
وخلَّصَ الفعل البهيّ للَّهِ .:. مستنفِراً من غائلاتِ الجاهِ
مقامَكَ اعرِفْ أيُّها الخديمُ .:. فإنّهُ مُفَخَّمٌ عظيمُ
أمسيت للمخدوم في أجورهِ .:. مشاركاً كذاكَ في سرورهِ
لا تغتبطْ سوى مقامِكَ الرفيعْ .:. فالخيرُ كلُّهُ لديكَ مجتمعْ
وثامنُ الفصولِ في المريدِ .:. السالكِ السبيلَ للتفريدِ
إن المريدَ المجْتَبَى كالمِرآةِ .:. جَلاؤُها يزيدُ في الخيراتِ
فيها ظهورُ شيخه بكلِّهِ .:. أعني بنَعْتِهِ كذا بسرِّهِ
فكل شأنٍ مِنْ شؤونِ المتبوعْ .:. شؤونُ ذلك المريدِ المطبوعْ
فجِسمهُ من جسمهِ استفاد .:. وقلبُهُ من قلبه قد جادَ
ونفسُهُ من نفسه تنوَّرتْ .:. ورُوحهُ من رُوحهِ تكمَّلَتْ
وسرُّهُ من سِرّه استنارَ .:. بَلْ واحدٌ هُنالِكُمْ قد صارَ[1]
ما قدْ بَدَا لِذَا لذلكم بَدَا .:. من عالَم الغيب الذي تمجَّدَا
فتارةً يغترفانِ النورَ .:. من بحرِ أحمَدَ الذي استنارَ
وتارةً من بحرِ رَبِّ الخلقِ .:. حتى تحقَّقَا بحقّ الحقِّ
تردَّدَا بين الجلال والجمالْ .:. وقد تفرَّدَا لدى بحرِ الكمالْ
أسرارُ ما هناك لا تُباحُ .:. العارفون عند ذاك ارتاحُوا[2]

---

(1) ص: سار.
(2) ص: ارتاح.

يا أيها المريدُ أَمْحُ نفسَك .·. وشيخَك كلَّهُ في كلِّك
كَابِدْ ـ هُدِيتَ ـ مُقْتَضَى في المعنى .·. تنلْ بها فوق الذي قد قلنا
النفسَ حاسبها مع اللَّحَظاتِ .·. ورُدَّها قهراً لذي الحالاتِ
بكلِّ جبلةٍ فاحتلْ عليها .·. محبِّباً لها محاسنَ الكمالْ
حتى إذا تمكَّنَتْ من حُبِّها .·. فحبُّهَا حينئذٍ يسوقُهَا
مجبورةً بلذَّةٍ عظيمةِ .·. بَادِرْ ـ هُدِيتَ ـ نَحْوَ ذي الغنيمةِ
وتاسعُ الفصولِ فيمن زارَ .·. ملتمساً لِكَسْرِهِ انجبارَا
فالزائرُ الذي يزورُ الشيخ .·. ملتمساً منه فنوناً شَامِخا
فكلُّ ما ينوي إذا توجَّهَ .·. إليه مِنْ جميع ما قَدِ اشتهى
يَنَلْهُ مثلَ مَا لَهُ أَرادَ .·. كذا يكون ذاكُمُ معتادَ
فلْينوِ إنْ كانت له بصيرةْ .·. مَحْوَ ذنوبِهِ بخَيْرِ مغفرةْ
وأن يجودَ ربُّنَا عليهِ .·. بتوبةٍ مقبولةٍ لديهِ
ولْيَسْتَحِ المُنَزَّهَ الحالاتِ .·. أن يطلبَ الفاني مِنَ السّاداتِ
ما يطلبُ الفاني مِنَ المشايخ .·. إلاّ الذي أمسى مِنَ المسالِخِ
ما طَلَبَ المولى مِنَ الزّيارِ .·. فلْيطلبوهُ هُمْ مِنَ الأخيارِ
وعاشرُ الفصولِ في المُحِبِّ .·. لَهُمْ تقرُّباً لِذاتِ الربِّ
يا أيّها المحبُّ نِلْتَ منصِبَا .·. فاجْعَلْهُ إذْ فُزْتَ بِهِ تَقَرُّبَا
حبُّ المشايخِ الذين دَانُوا .·. بحبِّ مَنْ ذَلَّتْ له الأكوانُ
أبهى وأقوى عدّةً لديكَ .·. مَنَّ بها إلٰهُنا عليكَ
قَدْر المُحِبِّين الذي في الشّرعِ .·. قَدْرٌ يَفُوقُ قدرهُ في النفعِ
حُبُّ الفتى في دينه لمن سواهْ .·. يصونه[1] في حشره غداً معهْ

---

(1) ص: يسونه.

حبُّ المشايخ الهداةِ مغفِرهْ[1] .·. فاعْرِفْ بها ما شئتَ مِنْ معرِفهْ
ولا تكنْ بها لحظٌ عارِفا .·. فَتُمْسِ بين العارفينَ تالفا
تَمَّتْ بحمد اللّه ذي الأرجوزهْ .·. صريحة البيان لا ملغوزهْ
سَمّيتُهَا لحسْنِها شمسَ الضُّحى .·. من اهتدى بنورها قَدْ أفلحَ
عليّ أنْ نقول باللسانِ .·. ما نلتُ ذا إلاّ مِنَ الغَزْوانِي[2]
عليه رضوانٌ مِنَ الرحمٰنِ .·. وكلّ مُنْصِفٍ مِنَ الإخوانِ
قد نالَ ما أفادنا مِنْ أسرارْ .·. من شيخِهِ عبدِ العزيزِ الحَرّازْ[3]
أتى بها عن شيخهِ الجزولي[4] .·. مِن سِرِّهِ لسرِّهِ المصقولِ
أولئك الأخيار هُمْ شيوخُنَا .·. أَنْعِمْ بهمْ من عارفينَ ربَّنَا
للشّاذِلِي[5] في فنّهِ ينتسبونْ .·. شيخ الهداية المُتَوفَّى بالفُنُونْ
عليهمُ الرضى مع السَّلامِ .·. متى ذكرتُهُمْ على الدوامِ
وكلّ مَنْ يُحبُّهُمْ بقلبهِ .·. ولمْ يُرِدْ إلا ثواب ربِّهِ
غداً لدى المواقف العظامِ .·. ولم يَمِلْ بذاكِ لِلْحُطامِ
ثُمّ صلاتُنا على بحرِ الهُدَى .·. أعني بهِ يا سادتي محمّدَا
وآلهِ وصحبهِ الكرامِ .·. وسادتي مصابيحِ الظّلامِ

---

(1) ص: مغرفة.

(2) ص: الغزوان، أي شيخه عبد اللّه الغزواني، وقد سبق التعريف به.

(3) لم أقف على ترجمته.

(4) محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان الجزولي، مؤلف «دلائل الخيرات» وشيخ الطريقة الجزولية، توفي مسموماً عام 870هـ/ 1465م (انظر ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع، وشجرة النور الزكية: 264).

(5) نور الدين أبو الحسن علي بن عبد اللّه الشاذلي الضرير، شيخ الطريقة الشاذلية، المتوفى عام 656هـ/ 1258هـ (انظر الطبقات الكبرى للشعراني: 290 ـ 301، ومعجم المؤلفين: 7/ 137).

وتتركون ما يزيدُ قلْبي ∴ حبّاً وتشويقاً لذاتِ الربِّ
لا تَذْكُرُوا إلا بِمَا نقولُ ∴ يَظْهَرْ لنا ولكمُ السّبيلُ
الماء بينكمْ على الجميع رشْ ∴ وأنتمُ قد مُتُّمُ من العطشْ
إلى متى يا أهل هَذِي[1] الدارِ ∴ من التعامي عَنْ سنا الأسْرَارِ
تاللّه ما رأيتُ في الساداتِ ∴ مَنْ نَصَحَ البنين والبناتِ
بمثلِ هذه النصيحةِ التي ∴ تسوقُكُمْ طرّاً لخيرِ حضرةِ
فَلْتقبلوا نصيحتي وإلاّ ∴ كنتمْ إلى شرِّ الهوان أَهْلا
لكن يا رب إذا نظرتُ ∴ لما لديك من هُدَى طمعتُ
وإن نظَرتُ للطباع النافرهْ ∴ عن الهدى أيستُ تلكَ الحضرهْ
يا للّه يا ذا الفضل والإحسانِ ∴ يا من له الغنى عنِ الأكوانِ
إليك سُقْ جميعنا باللُّطْفِ ∴ واعْطِفْ على الكلِّ بخيرِ عطفِ
انتهت بحمد اللّه وحسن عونه.

(1) ص: هذا.

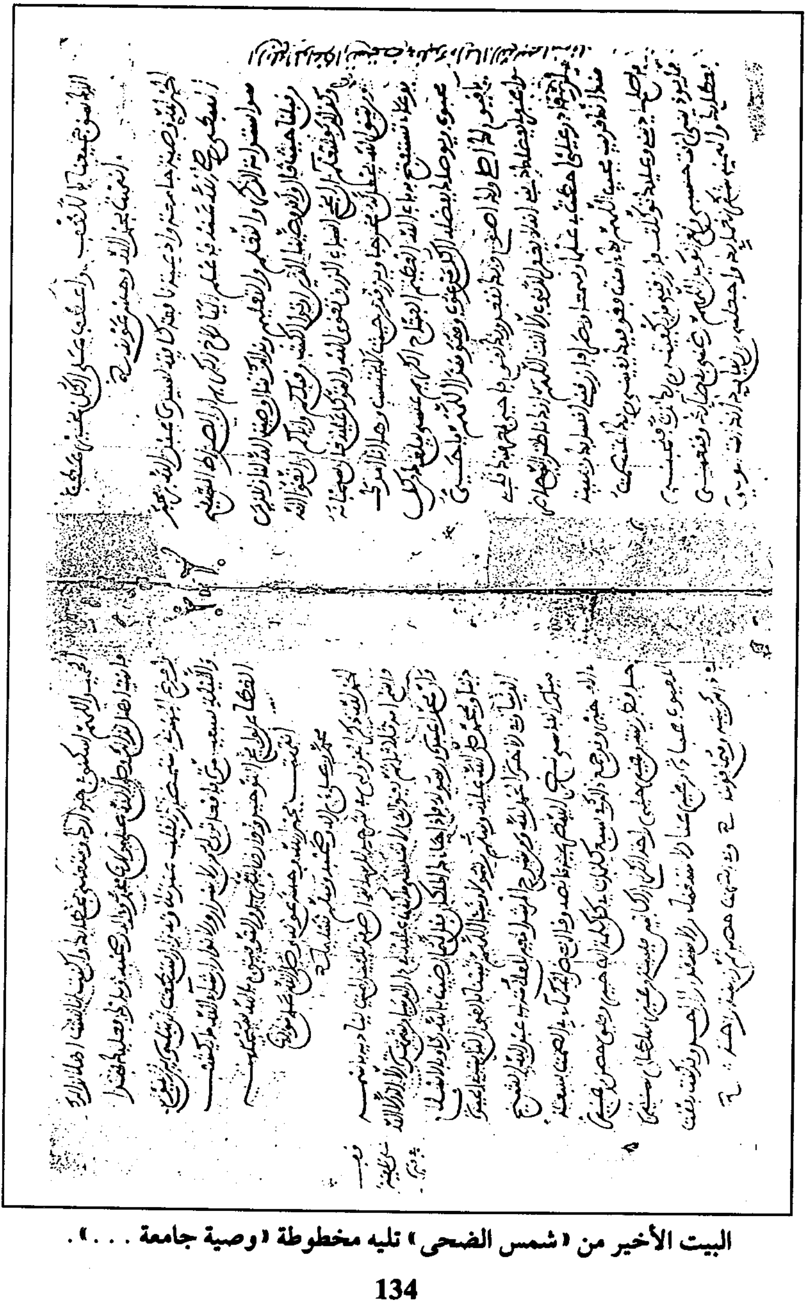
## الرسالة العاشرة

# وصية
# جامعة وأدعية
# نافعة

للإمام أبي محمد
عبد اللّه بن محمد الهبطي
المعروف بالهبطي الكبير
المتوفى عام 963هـ/ 1555م

# تقديم

توجد هذه المخطوطة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (2734د)، ضمن مجموع من صفحة 58 إلى 59. عدد سطور الصفحة 58 هو 15 سطراً، والصفحة 59.احتوت على سبعة سطور، ومقياسها: 19/ 15سم. مكتوبة بخط مغربي وسط، ولا ذكر فيها لاسم الناسخ وتاريخ النسخ.



البيت الأخير من «شمس الضحى» تليه مخطوطة «وصية جامعة . . .».

# نص الوصية

الحمد للَّه، وصية جامعة، وأدعية نافعة كافية، لسيدي عبد اللَّه بن محمد الهبطي رضي اللَّه عنه.

فاعلم أيها الأخ الكريم أن الصراط المستقيم هو استدامة الذكر والتعلّم والتعليم، وبذلك ننال وصية اللَّه لنا وللذين من قبلنا، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 131] وكذلك فلتعلم أن أبلغ المواعظ أن تستحضر في قلبك دائماً اللَّه سبحانه، فإن أنجح أسباب الرزق تقوى اللَّه، والتوكل عليه، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2، 3] وها أنا آمرك بدعاء تستفتح به باب اللَّه العظيم، الفتاح الكريم، عسى يبلغك من كل محبوب، ويوصلك بفضله إلى كل مرغوب، وهو هذا:

«اللَّهم يا حي يا قيوم، لك أصلّي ولك أصوم، وبك نقعد وبك نقوم، فاخي بمعرفتك قلبي، واغفر لي بفضلك ذنبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. اللهم إنك ناظرٌ إلي، حاضر لدي، قادر علي، أحطت بي علماً وسمعاً وبصراً، فارزقني أُنساً بك، وهيبة منك، إنك قريب مجيب. اللهم بك آمنت فقوِّ فيك يقيني، وبك اعتصمت فأصلح لي ديني، وعليك توكلت فارزقني ما يكفيني، وبك لذت فنجِّني مما يؤذيني، أنت حَسْبي ونعم الوكيل. اللهم رضّني بقضائك، وقنعني بعطائك، وألهمني شكر نعمائك،

واجعلني من أوليائك، إنك أنت الولي الحميد. اللهم اسكني في جوارك، ومتعني بخطابك، وإن كنتُ أنا لست أهلاً لذلك، فأنت أهل لذلك. وصلّى اللّه على مولانا محمد وآله وصحبه وبارك».

فعليك بهذا، وافرغ الجهد في استحضار القلب عند تلاوته، وإن استطعت أن تتلوه بين اليوم والليلة سبعين مرة فافعل، ترى له من الأسرار والأنوار إن شاء اللّه ما يكشف الغطاء عن لوائح التوحيد، وبوارق التفريد، والتوفيق باللّه سبحانه.

انتهت بحمد اللّه وحسن عونه، وصلّى اللّه على مولانا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليماً.

# المصادر

## توثيق المصادر

1 ـ إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي. دار الكتب العلمية، بيروت.

2 ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري.
تحقيق جعفر الناصري ومحمد النصاري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م.

3 ـ اقتفاء للأثر بعد ذهاب أهل الأثر لأبي سالم عبد اللّٰه بن محمد العياشي. تحقيق نفيسة الذهبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الطبقة الأولى، 1996م.

4 ـ الألفية السنية في تنبيه الخاصة والعامة على ما أوقعوا من التغيير في الملة الإسلامية لأبي محمد عبد اللّٰه بن محمد الهبطي. مخطوط مسجل في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1095د)، ضمن مجموع من ورقة 1ب إلى 16ب.

5 ـ بلوغ الآمال في ذكر مناقب السادات سبعة رجال لأبي الفتح محمد بن أحمد بن أحمد بوستّة المدعو بسيدي أمّان. المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1995م.

6 ـ درة الحجال في أسماء الرجال لأبي العباس أحمد بن محمد ابن القاضي. تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ضمن سلسلة «من تراثنا الإسلامي: 10» المكتبة العتيقة بتونس، ودار التراث بالقاهرة.

7 ـ دليل مؤرخ المغرب الأقصى لعبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري. دار الكتاب، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1960م.

8 ـ دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لمحمد بن علي بن عسكر السفشاوني.
تحقيق محمد حجبي، ضمن «سلسلة تراجم: 1»، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1396هـ/ 1976م.

9 ـ الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس المنسوب لأبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط.
تحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الطبعة الأولى، 1997م.

10 ـ سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس لمحمد بن جعفر الكتاني. طبعة حجرية بفاس، 1316هـ.

11 ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1349هـ.

12 ـ الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار لأبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني.
تصحيح خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ/ 1992م.

13 ـ فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط، القسم الثالث، الجزء الأول. مطبعة التومي، الرباط، 1973م.

14 ـ كتاب الوفيات لأبي العباس أحمد بن حسن بن قنفذ.
تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1403هـ/ 1983م.
15 ـ لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور. دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ/ 1994م.
16 ـ لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد لأبي العباس أحمد بن محمد ابن القاضي. تحقيق محمد حجي، ضمن كتاب «ألف سنة من الوفيات»، الرباط، 1396هـ/ 1976م.
17 ـ مؤرخو الشرفاء للمستشرق ليفي بروفنصال. تعريب عبد القادر الخلادي، دار المغرب، الرباط، 1397هـ/ 1977م.
18 ـ المصادر العربية لتاريخ المغرب (من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث) لمحمد المنوني.
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1404هـ/ 1983م.
19 ـ المصادر العربية لتاريخ المغرب (الفترة المعاصرة: 1790 ـ 1930) لمحمد المنوني.
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1410هـ/ 1989م.
20 ـ معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية) لعمر رضا كحالة. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
21 ـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار لأبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (بهامش الإحياء للغزالي). دار الكتب العلمية، بيروت.
22 ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي.

تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1417هـ/ 1996م.
23 ـ ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع لمحمد المهدي بن أحمد الفاسي. طبعة حجرية بفاس.
24 ـ النبوغ المغربي لعبد اللّٰه جنون.
مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1961م.
25 ـ نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد الطيب القادري. تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ضمن «سلسلة التراجم: 3»، الرباط 1397هـ/ 1977م.
26 ـ نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان لأحمد النائب الأنصاري.
تحقيق علي مصطفى المصراتي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، الطبعة الأولى، 1963م.
27 ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/ 1988م.

# فهرس المحتويات